٦٩

الوصية السابعة: «مَنْ سلك طريقاً يلتمس...»

عباد الله! يقول الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

عباد الله! قلنا سابقاً: إن من الواجب على المسلمين نحو رسول الله ﷺ أن يقبلوا وصاياه وأن يعضوا عليها بالنواجذ، وأن يعملوا بها ليسعدوا في الدنيا والآخرة. وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية السابعة من وصايا المصطفى ﷺ.

يقول ﷺ: «**من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»[1].

وصية عظيمة من رسول عظيم يوصي فيها أمته أن يتعلموا العلم الشرعي؛ علم الكتاب والسنّة، علم الأنبياء، فالأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، ولكن ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر، وهي وصية عظيمة للمسلمين كافة رجالاً ونساء، صغاراً وكباراً.

---

(١) **حسن لغيره**: د: (٣٦٤١)، ت: (٢٦٨٢)، هـ: (٢٢٣)، حم: (١٩٦/٥)، مي: (٣٤٢)، حب: (٨٨)، هب: (٢٦٢/٢)، [«ص.غ.هـ» (٧٠)].

عباد الله! **وهنا سؤال مهم ألا وهو: لماذا يوصي رسول الله ﷺ أمته أن يطلبوا العلم الشرعي؟ وأن يحافظوا على مجالس العلم؟**

أولاً: لأن العلم الشرعي طريق إلى الجنة، كما قال ﷺ في وصيته: «**من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة**».

ثانياً: لأن الملائكة يحبون طلاب العلم، ولأن الملائكة يحبون مجالس العلم، ويحفونها إلى عنان السماء.

يقول ﷺ: «**وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع**»، ويقول ﷺ: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**»(١).

ثالثاً: لأن الذي يتعلم هذا العلم، ويعمل به، ويعلم الناس هذا الخير، فإن المخلوقات كلها في السموات والأرض يدعون له ويستغفرون له، والله ﷻ يذكره في الملأ الأعلى.

يقول ﷺ: «**وإن العالم ليستغفر له من في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء**»، ويقول ﷺ: «**إن الله وملائكته حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر، ليصلون على معلّم الناس الخير**»(٢).

رابعاً: لأن العلماء في الأرض كالنجوم في السماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب.

كما أخبر بذلك ﷺ في وصيته: «**وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب**».

عباد الله! ومثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء.

---

(١) **صحيح**: د: (١٤٥٥)، [«ص.ج» (٥٥٠٩)].

(٢) **صحيح**: طب: (٨/ ٢٣٤)، [«ص.ج» (١٨٣٨)].

• فالنجوم في السماء زينة للسماء كما أخبر ربنا ـ جل وعلا ـ والعلماء في الأرض زينة للأرض.

• النجوم في السماء يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، والعلماء في الأرض يُهتدى بهم في ظلمات الفتن.

• النجوم في السماء جعلها الله رجوماً للشياطين، والعلماء في الأرض جعلهم الله رجوماً لشياطين الإنس والجن، ولذلك فإن الشيطان يفرح بموت العلماء؛ ففقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد، وإذا رأيت إنساناً يأكل لحوم العلماء، وينتهك أعراض العلماء، فاعلم أنه من شياطين الإنس.

خامساً: رسولنا ﷺ يوصي أمته بطلب العلم؛ لأن العلم الشرعي يرفع صاحبه في الدنيا والآخرة. قال ـ تعالى ـ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

ويقول ﷺ: «**إن الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين**»(١)، ويقول ﷺ: «**يُقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت تُرتل في دار الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها**»(٢). فانتبهوا يا طلاب العلم! يا من زهدتم في كتاب الله، يا من زهدتم أن تحفظوا آية واحدة من كتاب الله.

أمة الإسلام! أستحلفكم بالله، كل واحد ينظر الآن إلى قيمة القرآن عنده في البيت، وإلى المحافظة على قراءة القرآن في البيت، وإلى قيمة المفسديون والجلوس أمامه، والمحافظة على المفسديون، لتعلموا أنكم في واد والقرآن في وادٍ آخر، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) **صحيح**: م: (٨١٧).

(٢) **صحيح**: د: (١٤٦٤)، ت: (٢٩١٤)، حم: (٢/ ١٩٢)، حب: (٧٦٦)، ك: (١/ ٧٣٩)، ش: (٦/ ١٣١)، هب: (٢/ ٤٣٦)، [«ص.ج» (٨١٢٢)].

سادساً: لأن العلم الشرعي تجارة رابحة في الدنيا، وبعد الموت، ويوم القيامة.

يقول ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلَّمهُ**»(١)، إذا أردت أن تكون من خير الناس فتعلم القرآن وعلم الناس القرآن. يقول ﷺ: «**من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم، مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً**»(٢)، وقال ﷺ لعلي رضي الله عنه: «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمُر النعم**»(٣)، وقال ﷺ: «**الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه وعالماً أو متعلماً**»(٤). هذه هي الدنيا التي نعض عليها بالنواجذ، والتي تركنا الصلاة من أجلها، وتركنا دروس العلم من أجلها! راجعوا أنفسكم هل أنتم من هؤلاء؟.

ويقول ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(٥). هذا الذي ينفع بعد الموت، فالعلم تجارة رابحة.

- ولذلك قال علي رضي الله عنه: (العلم خير من المال؛ العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو بالنفقة والمال تنقصه النفقة)(٦).

- وقال رجل لابنه: (عليك بالعلم الشرعي؛ فإن افتقرت كان لك مالاً، وإن استغنيت كان لك جمالاً).

- وقال آخر: (من أراد الدنيا فعليه بالعلم الشرعي، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم الشرعي، ومن أراد الدنيا والآخرة فعليه بالعلم الشرعي).

سابعاً: لأن العلم بمنزلة الجهاد في سبيل الله. فطالب العلم الشرعي

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٧٣٩). (٢) **صحيح**: م: (٢٦٧٤).
(٣) **صحيح**: خ: (٣٤٩٨)، م: (٢٤٠٦).
(٤) **حسن**: ت: (٢٣٢٢)، هـ: (٤١١٢)، طس: (٤/٢٣٦)، [«ص.ج» (٣٤١٤)].
(٥) **صحيح**: م: (١٦٣١). (٦) حل: (١/٨٠).

الذي يأتي لدروس العلم ويقطع المسافات، ويتحمل الصعاب، هو بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ولذلك قال ﷺ: «**من جاء مسجدي هذا، لم يأته إلا لخير يتعلمه، أو يعلمه، فهو في منزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاءه لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره**»(١)، وقال ﷺ: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**»(٢)، والجهاد باللسان يكون بالحجة والبرهان، وهذا يحتاج إلى علم كما قال ربنا ـ جل وعلا ـ لرسوله ﷺ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ ـ أي: بالقرآن ـ ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]. والله ﷻ سمّى الخروج في طلب العلم نفيراً، وسمّى الخروج في سبيل الله لملاقاة العدو نفيراً. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة: ٤١].

ولذلك قال أبو الدرداء: (من رأى الغدوة والروحة في طلب العلم ليست بجهاد فقد نقص عقله ورأيه).

ثامناً: لأن العلم الشرعي يورث الخشية، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

تاسعاً: لأن العلم الشرعي يحيي القلوب الميتة، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ ـ بالجهل ـ ﴿فَأَحْيَيْنَـٰهُ﴾ ـ بالعلم ـ ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

---

(١) **صحيح**: هـ: (٢٢٧)، حم: (٢/٤١٨)، ع: (١١/٣٥٩)، ش: (٢/١٤٨)، هب: (٢/٢٦٣)، [«ص.ج» (٦١٨٤)].

(٢) **صحيح**: د: (٢٥٠٤)، ن: (٣٠٩٦)، حم: (٣/١٢٤)، مي: (٢٤٣١)، ك: (٢/٩١)، هق: (٩/٢٠)، [«ص.ج» (٣٠٩٠)].

عاشراً: لأن العلم الشرعي يحمي صاحبه عند الفتن، فالعلم نور والجهل ظلمات بعضها فوق بعض، فالعالم يرى الفتنة إذا أقبلت، والجاهل لا يرى ولا يعرف الفتنة إذا أقبلت، ولذلك قالوا: الفتنة إذا أقبلت لا يعرفها إلا العلماء، وإذا أدبرت وافتتن بها الناس عرفها العالم والجاهل، ولذلك قسَّم الله الناس إلى رجلين: عالم وجاهل.

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد: ١٩] وبالمثال يتضح البيان: هذه فتنة المال عندما أقبلت على الناس، وافتتن بها الناس أيام قارون عندما خرج عليهم بزينته فانظروا إلى الجهلة، وإلى طلاب الدنيا فقد افتتنوا مباشرة عندما نظروا إلى قارون وإلى ما هو فيه من النعمة والمال قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ [القصص: ٧٩].

وأما الذين تعلموا، فقد حفظهم الله بالعلم من الفتنة، بل ونصحوا الناس عند الفتنة: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [القصص: ٨٠].

عباد الله! من رأى نفسه يذهبُ إلى مجالس العلم، ويجلس يتعلم، فليعلم بأن الله أراد به الخير.

يقول ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»(١). وإياك يا عبد الله أن يمنعك الكبر عن التعلم، وإياك أن يمنعك المال عن التعلم، وإياك أن يمنعك المنصب عن التعلم، وإياك أن تمنعك العشيرة عن التعلم. فالدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله ـ وهذا في مجالس العلم ـ وما والاه ـ من الشكر وهذا في مجالس العلم ـ وعالماً ـ وهذا في مجالس العلم ـ ومتعلماً ـ وهذا في مجالس العلم ـ.

---

(١) **صحيح**: خ: (٧١)، م: (١٠٣٧).

وأما إذا رأى أحدنا نفسه لا يذهب إلى مجالس العلم، ولا يعكف على العلم الشرعي ليتفقَّه في الدين، فليعلم بأن الله لم يرد به خيراً وإن ملك الدنيا وما فيها، فما في الدنيا للدنيا، والذي ينفعك في الدنيا وبعد الموت ويوم القيامة هو العلم الشرعي.

عباد الله! العلم نعمة عظيمة من نعم الله على العباد.

- فقد امتن الله بنعمة العلم على رسوله ﷺ.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

- وامتن الله على المؤمنين بنعمة العلم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة: ١٥١]، فالعلم نعمة عظيمة تحتاج إلى شكر، وهذا الشكر على هذه النعمة يحتاج إلى شكر حتى تلقى الله ﷻ وهو راضٍ عنك.

عباد الله! تعلموا العلم الشرعي، واعلموا بأن الله ﷻ نفى التسوية بين أهل العلم وغيرهم من أهل الجهل، كما نفى التسوية بين الأعمى والبصير، وبين الظلمات والنور، وبين الظل والحرور، وبين الطيب والخبيث، وبين أهل الجنة والنار. فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ﴾ [فاطر: ١٩ ـ ٢٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ﴾ [المائدة: ١٠٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر: ٢٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ [الزمر: ٩].

واعلموا أن الله ﷻ لم يأمر رسوله ﷺ أن يطلب المزيد من شيء إلا من العلم الشرعي، فقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾

[طه: ١١٤]، فكان ﷺ إذا صلى صلاة الصبح يقول: «**اللّهم إني أسألك علماً نافعاً، ورزقاً طيباً وعملاً متقبلاً**»(١).

فيا أخا الإسلام! أقبل على مجالس العلم؛ ففيها خير عظيم، فإن منَّ الله على المجلس برحمة أصابتك معهم، وإن منَّ الله على المجلس بمسألة فقهية ففهموها فهو خير لك من الصلاة النافلة. وإياك أن تفتن بالدنيا، واصبر على ذلّ العلم ساعة، ولا تصبر على ذل الجهل مدى الحياة، فالعلم وطلب العلم كالجهاد في سبيل الله.

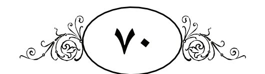
ومن لم يذق ذلَّ التعلم ساعةً ... تجرَّع ذلَّ الجهل طولَ حياتِهِ

اللّهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمتنا، وزدنا علماً

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: هـ: (٩٢٥)، حم: (٦/ ٢٩٤)، لس: (١٦٠٥)، طب: (٢٣/ ٣٠٥)، ع: (١٢/ ٣٦١)، عب: (٢/ ٢٣٤)، ش: (٦/ ٣٣)، هب: (٢/ ٢٨٤)، [«ص. هـ» (٧٥٣)].



الوصية الثامنة: «أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ، وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الثامنة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك**»(١).

عباد الله! وصية عظيمة من رسول عظيم كُلنا في أمسِّ الحاجة إليها في هذا الزمان العجيب الذي قُلبت فيه الموازين، ففي هذا الزمان يُخَوَّنُ الأمين، ويؤتمن الخائن، يُكذَّب الصادق، ويصدَّق الكاذب، يُكرم اللئيم، ويهان الفاضل، فإنا لله وإنا إليه راجعون، رسولنا ﷺ يأمر أمته في الشطر الأول من هذه الوصية بأداء الأمانة: «**أَدِّ الأمانة إلى من ائتمنك**»، وقد أمر الله ـ عز وجل ـ في كتابه بأداء الأمانة، فقال ـ تعالى ـ: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ**﴾ [النساء: ٥٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿**فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ**﴾ [البقرة: ٢٨٣].

أمة الإسلام! الأمانة في هذا الزمان عليها السلام إلا ما رحم ربي! الأمانة: شيء عظيم، الأمانة: أمر خطير لا يقدر على حملها إلا الرجال. ومن هم هؤلاء الرجال؟ إنهم الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر، الذين يظنون أَنهم ملاقوا ربهم غداً. فالأمانة عرضت على السموات والأرض والجبال ـ والتي هي مِنْ أقوى المخلوقات وأعظمها ـ، فَأَبَيْن أن يحملنها

(١) **صحيح**: د: (٣٥٣٥)، ت: (١٢٦٤)، مي: (٢٥٩٧)، ك: (٢/ ٥٣)، قط: (٣/ ٣٥)، طس: (٤/ ٥٥)، هب: (٤/ ٣١٩)، هق: (١٠/ ٢٧١)، [«ص.ج» (٢٤٠)].

وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً، فبظلمه وجهله حمل الأمانة..

عبادَ الله! وبعد أن حمل الإنسان الأمانة انقسم الناس فيها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: التزم بالأمانة ظاهراً وضيّعها باطناً، وهم المنافقون والمنافقات، فهؤلاء أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر.

القسم الثاني: ضيّعوا الأمانة ظاهراً وباطناً، وهم المشركون والمشركات وهؤلاء أظهروا الكفر وأبطنوا الكفر.

القسم الثالث: التزموا بالأمانة ظاهراً وباطناً، وهم المؤمنون والمؤمنات، نسأل الله أن يجعلنا وإياك منهم، وبيَّن الله ﷻ في كتابه أن القسم الأول والثاني ـ وهم المنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات ـ الذين خانوا الأمانة ـ أعد الله لهم عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة، وأما القسم الثالث الذين أدوا الأمانة فقد أدخلهم الله في رحمته، ويوم القيامة يدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢، ٧٣].

عباد الله! اعلموا أن الأمانة لها علاقة بالعقيدة السليمة، فإذا وجد الإيمان في القلوب وجدت الأمانة، وإن غاب الإيمان عن القلوب ضاعت الأمانة، لتعلموا يا أمة الإسلام أَنها العقيدة أولاً لو كان يعلمون.

يقول ﷺ رابطاً بين الأمانة والعقيدة: «**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له**»(١)، الناس اليوم يتفننون في النصب والاحتيال حتى

---

(١) **صحيح**: حم: (٣/١٣٥)، حب: (١٩٤)، طس: (٣/٩٨)، ع: (٥/٢٤٦)، هق: (٦/٢٨٨)، حب: (٤/٧٨)، [«ص.ج» (٧١٧٩)].

إن كثيراً من أهل الفضل الذين يملكون الأموال امتنعوا أن يقرضوا غيرهم خوفاً من ضياع أموالهم بسبب قلة أمانة الكثير من الناس.

عباد الله! اعلموا أن أول ما يرفع من الناس الأمانة.

يقول ﷺ: «**أول ما يرفع من الناس الأمانة، وآخِرُ ما يبقى من دينهم الصلاة، وربَّ مُصَلٍّ لا خلاق له عند الله تعالى**»(١).

واعلموا عباد الله أن الأمانة إذا رفعت من بين الناس فقد أزفت الآزفة، واقتربت الساعة، وظهرت علاماتها الصغرى. جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يقول: يا رسول الله! متى الساعة؟ فقال ﷺ: «**إذا ضيِّعت الأمانة فانتظر الساعة**» قال: كيف إضاعتها؟ قال ﷺ: «**إذا وُسِّد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة**»(٢)، إذا وضع الرجل غير المناسب في المكان المناسب فانتظر الساعة، وهذا قائم بين المسلمين اليوم، اللئيم (الساقط الهابط) هو الذي يتحكم في رقاب المؤمنين، بينما العلماء الأتقياء ورثة الأنبياء يملأون السجون، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

عباد الله! يقول ﷺ: «**ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوكت ثم ينام النومة فتقبض فيبقى فيها أثرها مثل أثر المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبراً وليس فيه شيء، ويصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة، فيقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً، ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان**»(٣).

وهذا الواقع اليوم، فظاهر أحدهم مسلم وقلبه ليس فيه ذرة من إيمان، ولكن الخير في الأمة موجود، والأمانة موجودة بين الناس وإن أساء إليها الخونة الذين خانوا الناس في أمانتهم فأساؤوا للمسلمين. وهناك والحمد لله من المسلمين من يملك الآلاف والملايين ويعطي مِن

---

(١) **حسن**: [«ص.ج» (٢٥٧٥)]. (٢) **صحيح**: خ: (٥٩).

(٣) **صحيح**: خ: (٦٦٧٥)، م: (١٤٣).

ماله ولا يبالي، للمحتاجين الذين في قلوبهم الإيمان، فالإيمان هو الذي سيجعله يرد الأمانة فهو يؤمن بالوقوف بين يدي الله يوم القيامة، أما الفاسق والفاجر والذي خلا قلبه من الإيمان فحتى وإن أخذت عليه العهود والمواثيق، فما يرده ذلك أبداً؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**لا إيمان لمن لا أمانة له**»(١).

عباد الله! ورب سائل يسأل: وما هي الأمانة؟

الأمانة: ـ التي أبت السموات والأرض والجبال أن تحملها ـ هي كل ما استُحفِظَ الإنسانُ عليه من الحقوق، سواء كانت هذه الحقوق لله أم كانت لعباد الله.

- فالعقيدة أمانة، فمن مات يدعو غير الله، أو مات يستغيث بغير الله، أو مات يتوكل على غير الله فقد خان الأمانة.

- والصلاة أمانة، فمن حافظ عليها في وقتها في المسجد في جماعة وحافظ على ركوعها وسجودها وطمأنينتها فقد أدى الأمانة، ومن ضيّع الصلاة فقد خان الأمانة.

- والوضوء أمانة، والغسل من الجنابة أمانة، والزكاة أمانة، إلى غير ذلك مما يحبه الله ويرضاه من الحقوق والواجبات.

ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب أمانة، ووضع الرجل غير المناسب في المكان المناسب خيانة.

والله ﷻ يسألنا معشر المسلمين عن المساجد يوم القيامة، فإذا عُيِّن لهذا المسجد إمامٌ عالمٌ حافظٌ للقرآن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يدعو الناس بالليل والنهار لا يطلب شكراً ولا مالاً فقد أدينا الأمانة، وإن عينَّا للمسجد إماماً لا يحفظ إلا قليلاً من القرآن، ولا يحسن القراءة، ولا يحافظ على الصلاة بالناس، ولا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر إلا

---

(١) **صحيح**: [«ص.ج» (٧١٧٩)] وقد تقدم تخريجه ص١٠٨.

بمقابل فقد خُنّا الأمانة، وكذلك كل موظف يشعر أنه في مكان هو ليس له أهلاً فقد خان الأمانة. وبالمثال يتضح البيان:

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: «**يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها، وأدَّى الذي عليه فيها**»(١) الذين يركضون على المناصب وينفقون الأموال الكثيرة ليصلوا إليها، الذين يظلمون الناس ليرتقوا في مناصبهم، فليتذكروا «إنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها».

• ومن الأمانة أيضاً الإخلاص في العمل؛ فعلى الموظف أن يخلص في عمله ما دام أَنه راض بهذ العمل بشرط ألا يظلم؛ لأن كثيراً من الموظفين إذا أراد أن يترقى إلى رتبة ويعلو إليها لا يكون ذلك إلا بأن يكذب على الآخرين، وإلا أن يكون ذلك على حساب ظلم الآخرين، أو لا يكون إلا بالرشوة، فهناك بعض الموظفين على استعداد أن يبيع الشركة أو المصلحة التي يقوم بالعمل فيها إذا دفعت له رشوة، ولكن يوم القيامة ماذا سيقول لربه؟ يقول ﷺ: «**إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يُرفع لكل غادر لواء، فقيل: هذه غدرة فلان ابن فلان**»(٢)؛ أي: خيانة فلان؛ أي: هذا فلان ابن فلان الذي كان يرتشي، هذا فلان ابن فلان الذي كان يسرق، فهذا يوم تبلى السرائر، فيا أيها الموظف يا من نزلت إلى أخس المستويات لترتشي! ماذا تقول لربك يوم القيامة؟ فالعمل أمانة والإخلاص فيه أمانة.

• ومن الأمانة أيضاً ما يكون بين الرجل وزوجته في البيت، وما يكون بين الرجل وامرأته في غرفة نومه كذلك أمانة، فإنّ من أشر الناس منزلة عند الله الذي يجلس بين أصدقائه ويتكلم عما كان بينه وبين زوجته

---

(١) **صحيح**: م: (١٨٢٥).

(٢) **صحيح**: م: (١٧٣٥).

بالليل، هذا من أحقر الناس، ومن أهبط الناس؛ يقول ﷺ: «**إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة: الرجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه ثم ينشر سرَّها**»(١)، فالذي بينك وبين أهلك أمانة، فإياك أن تتكلم عما يكون بينك وبين أهلك ولو مازحاً.

● ومن الأمانة ما استرعاك الله عليه من النعم، فالبصر أمانة، السمع أمانة، الفرج أمانة، اليد أمانة، الرجل أمانة، الأولاد أمانة، الرعية التي استرعاك الله عليها أمانة، فمن ضيّع الأمانة ندم يوم القيامة وباءَ بخزي وندامة.

فاذكروا يا عبادَ الله أن كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته.

يقول ﷺ: «**ولا تخن من خانك**»؛ أي: إذا خانك إنسان فلا تخنه، الله أكبر!! على هذا ربّى الإسلام هذه الأمة الإسلامية! ولا تخن من خانك، «واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن»؛ فرسولنا ﷺ يحذر أمته من الخيانة. والله ـ عز وجل ـ في كتابه قد حذر عباده من الخيانة يقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال: ٢٧].

الخيانة ليست من خلق المؤمنين، أتدرون لِمَ حذرنا الله منها وحذّر الرسول ﷺ منها؟

أولاً: لأنها من أخلاق اليهود. فاليهود هم أهل الخيانة وهم أهل الغدر. يقول الله عز وجل: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ [آل عمران: ٧٥]. فالخيانة من شيم اليهود وأخلاقهم، وهذا التاريخ يشهد عليهم بذلك فما عاهدوا عهداً إلا غدروا به، وما ائتمنوا على أمانة إلا خانوها.

ثانياً: لأن الخيانة من أخلاق المنافقين، يقول ﷺ: «**آية المنافق**

---

(١) **صحيح**: م: (١٤٣٧).

ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتُمِنَ خان»[(١)]، وفي رواية: «**وإن صلّى وصام وزعم أنه مسلم**»[(٢)]. فالمنافق هو من يخون، والمؤمن لا يخون. ولذلك وصّى الرسول ﷺ أمته بأداء الأمانة وحذرهم من الخيانة لأن الله لا يحب الخائنين، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

فيا أخا الإسلام! الأمانةَ الأمانةَ، أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك وصية عظيمة، واللهِ إذا قام التاجر وأداها في هذا الزمان فهو من أصدق التجار، وإذا أداها المسلم في عمله ووظيفته فهو من أخلص الموظفين.

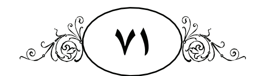
ويا أمة الإسلام! قد ائتمننا الله على هذا الدين العظيم، على الإسلام، فإذا حافظنا على هذه الأمانة أعزنا الله، وإذا ضيّعنا هذه الأمانة أذلّنا الله. كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إنا كنا أذل قوم، فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزَّ بغير ما أعزنا الله به؛ أذلنا الله)[(٣)].

أسأل الله العظيم ربَّ العرش العظيم
أن يرد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٣)، م: (٥٩). (٢) **صحيح**: م: (٥٩).
(٣) **صحيح**: ك: (١/ ١٣٠)، [«س.ص» (١/ ١/ ١١٨)].



الوصية التاسعة؛ (أ): «إذا تبايعتم بالعينة..»

عباد الله!

لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ، وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية التاسعة.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزَّرع، وتركتم الجهاد، سلّط الله عليكم ذلّاً، لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**»[1].

أمة الإسلام! يقول ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة**» وهي: نوع من أنواع الربا، «**وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع**» وهو كناية عن حب الدنيا، والركون إليها، ونسيان الآخرة، «**وتركتم الجهاد، سلّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه** ـ أي: عنكم ـ **حتى ترجعوا إلى دينكم**».

أمة الإسلام! وصية عظيمة من رسول كريم، الأمة في هذا الزمان في أمس الحاجة أن تأخذ بهذه الوصية وأَن تعض عليها بالنواجذ، وأن تعمل بها لتسعد في الدنيا والآخرة؛ وذلك يا عباد الله لأن الرسول ﷺ في هذه الوصية بَيَّنَ الداء والدواء، بيَّن أسباب الذل الذي نعيشه معشر المسلمين في هذا الزمان ووضع لنا العلاج.

السبب الأول: من أسباب الذل: «**إذا تبايعتم بالعِينة**»، والعينة: نوع من أنواع الربا، ويا ليتنا وقفنا عند العينة فقط بل أكلنا الربا بجميع أبوابه!

---

(١) **صحيح**: د: (٣٤٦٢)، هق: (٥/٣١٦)، حل: (٥/٢٠٩)، [«ص.ج» (٤٢٣)].

السبب الثاني: «**وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع**»، كناية عن حب الدنيا، والركون إليها، ونسيان الآخرة، ووقع ذلك منا، وإنا للهِ وإنا إليه راجعون.

السبب الثالث: «**إذا تركتم الجهاد**».

العقاب: «**سلّط الله عليكم ذلاً**»، العلاج: «**لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**».

عباد الله! ولما كان المرض قد انتشر في الأمة، ولا يختلف اثنان في أَننا معشر المسلمين أكلنا الربا وركنا إلى الدنيا، وتركنا الجهاد في سبيل الله، ولذلك سلّط الله علينا الذل والهوان. فأردت أن نعيش وإياكم في هذا اليوم مع السبب الأول من أسباب الذل والهوان لعلنا نتوب إلى الله، ألا وهو: «**إذا تبايعتم بالعينة**»؛ أي: إذا أكلتم الربا، وإذا تعاملتم بالربا، والله إن كثيراً من المسلمين ـ إلا ما رحم ربي ـ يتعاملون بالربا ويأكلون الربا، ولا يبالون أنهم بارزوا الله بالمعاصي.

فيا أمة الإسلام: إذا اقترف الإنسان جريمة أكل الربا ذلَّ وهلك، وإذا اقترفت الأمة والشعوب هذه الجريمة ذلت وهلكت.

عباد الله! أُذكِّر والذكرى تنفع المؤمنين: أن الربا حرام بالكتاب والسنّة وإجماع الأمة، فالله ـ ﷻ ـ قال في كتابه: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، فيا من تأكلون الربا أما سمعتم هذه الآية، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ [البقرة: ٢٧٨].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران: ١٣٠].

وقال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» ـ فذكر منها ـ «**وأكل الربا**»(١)، وأجمعت الأمة على حرمة الربا. واعلموا عباد الله أن الله ﷻ أعلن

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٦١٥)، م: (٨٩).

الحرب على أكلة الربا، لتعلموا يا من اقترفتم الربا أَنكم في حرب مع الجبار.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٩] حرب على الأعصاب والقلوب، حرب على البركة والأولاد، حرب على الصحة والعقول، حرب على السعادة! أين السعادة؟ أين البركة؟ أين الطمأنينة؟ نزعت. سلّط الله علينا إخوة القردة والخنازير فأذلونا، إذا تكلمنا لا يُسمع لنا، وإذا تكلموا يسمع لهم، أتدرون لِمَ؟ لأننا تورطنا في الربا، وطأطأنا الرؤوس فذللنا، وصدقت يا رسول الله، فمن اقترب من الربا ذل، حرب من الله على الأمة، ذل، هوان، مجاعة، غلاء، ضنك....

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠].

واعلموا عباد الله: أن المرابي مصيره إلى الجنون؛ الذي يأكل الربا يتخبط في دنياه كالمجنون، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

أما جلستم يا عباد الله مع آكل ربا ونظرتم إليه وهو يفكر بالليل والنهار كيف يتخلص من أموال الربا التي سموها له بالفوائد؟ فهو لا يستطيع أن يسد الفوائد الربوية ومتى يسد ما أخذ من المال؟ فتراه يفكر بالليل والنهار، فهو في ضنك في حياته ولا يشعر بطعم السعادة.

واعلموا عباد الله! أن مال الربا والمرابيَ مصيرُهما إلى الهلاك، فمال الربا مصيره إلى الهلاك، والمحق، والقلة. قال ـ تعالى ـ: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ [البقرة: ٢٧٦]، كم من الناس أخذ الربا فمحقه الله، ونحن نرى ذلك بأم أعيننا وفيما بيننا، فلان اقترض من بيوت الربا يبني بيتاً فما سكنه! وفلان اقترضَ بنى مصنعاً فأحرقه الله! وهكذا على مستوى الأفراد، والدول، والشعوب والأمم،

قال ﷺ: «**ما أحدٌ أكثر من الربا، إلا كان عاقبة أمره إلى قلة**»[(١)]، مهما علا الربا فمصيره إلى الدمار، ومهما كثرت أموال الربا فمصيرها إلى الهلاك.

عباد الله! الربا سبب لنزول العذاب، قال ﷺ: «**إذا ظهر الزنا والربا في قرية، فقد أحلّوا بأنفسهم عذاب الله**»[(٢)].

أمة الإسلام! هل ظهر الزنا في بلاد المسلمين؟ الجواب نعم، هل ظهر الربا في بلاد المسلمين؟ الجواب: نعم، إذن؛ فقد أحلّوا بأنفسهم عذاب الله، وإن عذاب الله لشديد.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢]. بالليل والنهار زلازل، أمراض، ضنك، حرب من الله، فانتبهوا يا أمة الإسلام.

عباد الله! آكل الربا يسبح في نهر من دم؛ فقد رأى رسول الله ﷺ رؤيا ـ ورؤيا الأنبياء حق ـ فأخبر ﷺ أصحابه بتلك الرؤيا وكان مما رأى فيها، يقول ﷺ: «**فانطلقت فإذا نهر من دم فيه رجل، وعلى شاطىء النهر رجل بين يديه حجارة، فيقبل الرجل الذي في النهر، فإذا دنا ليخرج رمى في فِيهِ حجراً فرجع إلى مكانه**»، وعندما سأل ﷺ عن حال هذا الذي في النهر قيل له: فذاك آكلُ الربا»[(٣)].

فالمرابي آكلٌ لدماء المسلمين، اليوم الكثير من التجار أَفلسوا، وانتقلت الأموال من أيديهم إلى البنوك، وانتقلت الأموال من البنوك إلى البنك الدولي فسيأتي يومٌ لن تجد قرشاً واحداً في أيدي الناس، وإنما ذهبت الأموال إلى البنوك ومن البنوك إلى البنك الدولي الذي تقوده اليهودية والنصرانية.

---

(١) **صحيح**: هـ: (٢٢٧٩)، [«ص.ج» (٥٥١٨)].
(٢) **صحيح**: ك: (٢/٤٣)، هب: (٤/٣٩٧)، [«ص.ج» (٦٧٩)].
(٣) **صحيح**: خ: (١٣٢٠).

لماذا حرّم الله الربا؟ لأن المرابي يعطي مائة ويأخذ منك مائة وعشراً، فبعد أيام ينتقل المال من أيدي الناس إلى المرابي فيتحكم في رقاب الناس، وهذا الذي وقع، فالمرابي يسبح في نهر من دم لأنه أمتص أموال الناس، وأتعجب مما يحصلُ في بلاد المسلمين ممن يصلّون فإنك إذا ذهبت تقترض منه مبلغاً من المال قال لك: الألف بكذا، والمائة بكذا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

اعلموا عباد الله! أن أكل الربا أشد عند الله من الزنى. يقول ﷺ: «**دِرهم ربا يأكله الرجل، وهو يعلم، أشد عند الله من ستةٍ وثلاثين زنية**»(١).

واعلموا عباد الله! أن آكل الربا كالذي ينكح أمه. يقول ﷺ: «**الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه، وإن أربى الربا عِرضُ الرجُلِ المسلم**»(٢)، اذهب إلى آكل الربا قل له: أنت كالذي ينكح أمه يقيم الدنيا ويقعدها على رأسك، أما إنه كالذي ينكح أمه بالليل والنهار ولكنه لا يدري ويوم القيامة سيدري وسيندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

أمة الإسلام! من اقترب من الربا فهو ملعون، فلقد «**لعن رسول الله ﷺ آكِلَ الرِّبا، وموكلهُ، وكاتبه وشاهديه، وقال: هم سواء**»(٣). كثير من الناس يقول: أنا لا آكل الربا، ولكن أوزعه على الفقراء والمساكين! ما ذنب الفقراء تطعمهم مالاً خبيثاً حراماً؟! فتوبوا إلى الله حتى يرفع عنا الذل. فالربا سبب من أسباب الذل، وبالرجوع إلى الله يرفع عنا الذل، يقول ﷺ في وصيته الجامعة: «**لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**». فلا بُدَّ أن نرجع إلى الله، أن نرجع إلى ديننا، وما هو ديننا الذي ارتضاه الله لنا؟ إنه الإسلام: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩].

---

(١) **صحيح**: حم: (٥/٢٢٥)، قط: (٣/١٦)، [«ص.ج» (٣٣٧٥)].
(٢) **صحيح**: ك: (٢/٤٣)، هب: (٤/٣٩٤)، [«ص.ج» (٣٥٣٩)].
(٣) **صحيح**: م: (١٥٩٨).

• والإسلام هو الدين الذي يُقْبَلُ عند الله يوم القيامة: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

• وإذا رجعنا إلى ديننا، عادت لنا العزة، يقول عمر الفاروق: (إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العزَّ بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله)[١]، والرجوع إلى الدين يكون بالتوبة النصوح، فيا آكل الربا، تُب إلى الله قبل أن تندم في وقت لا ينفع فيه الندم، وفي سورة البقرة بعد أن ذكر الله المرابين وأكلة الربا وأنه أعلن الحرب عليهم قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩]. يحثنا ربنا على التوبة، يدفعنا إليها، فيا آكل الربا! اتق يوماً ترجع فيه إلى الله، ويا آكل الربا! اتق يوماً تقف فيه بين يدي الله، اتق يوماً تقف فيه على الميزان بين يدي الجبار يسألك فيه عن مالك من أين اكتسبته وفيمَ أنفقته؟ أفتقول يوم القيامة: اكتسبته من الربا، وأنفقته في معصية الله، أَعِدَّ للسؤال جواباً يا آكل الربا!

أسأل الله العظيم ربَّ العرش العظيم
أن يرد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً

❁ ❁ ❁

(١) **صحيح**: ك: (١/ ١٣٠)، [«س.ص» (١/ ١/ ١١٨)].



الوصية التاسعة (ب): «إذا تبايعتم بالعينة..»

عباد الله!

يقول ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**»[(١)].

إنها وصية عظيمة، والناسُ في أمس الحاجة إلى معرفتها، يبيّن فيها المصطفى ﷺ أسباب الذل، ويصف للأمة العلاج. وفي الجمعة الماضية تكلمنا عن السبب الأول من أسباب الذل: ألا وهو «**إذا تبايعتم بالعينة**» ـ أي: تعاملتم بالربا ـ فتكلمنا عن الربا وتبيّن لنا من القرآن والسنّة أن الربا سبب للذل وسبب للهلاك، وتبيّن لنا أن كثيراً من الناس قد اقترفوا جريمة أكل الربا، فذكرنا أولئك والذكرى تنفع المؤمنين، وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع السبب الثاني والثالث من أسباب الذل.

عباد الله! **أما السبب الثاني من أسباب الذل فهو:**

حب الدنيا، ونسيان الآخرة، كما قال ﷺ: «**وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع**»؛ أي: انشغلتم بالدنيا، ونسيتم الآخرة.

أمة الإسلام! حب الدنيا ونسيان الآخرة سبب من أسباب الذل، فمن انشغل بالدنيا ونسي الآخرة أذلّه الله في الدنيا قبل الآخرة، حب الدنيا ونسيان الآخرة سبب لكل شر. حب الدنيا ونسيان الآخرة سبب لهلاك الأمم، ولذلك قال ﷺ: «**فوالله ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكنِّي أخشى أن**

---

(١) **صحيح**: د: (٣٤٦٢)، هق: (٥/٣١٦)، حل: (٥/٢٠٩)، [«ص.ج» (٤٢٣)].

تبسط الدنيا عليكم كما بُسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم»(١).

دليل صحيح صريح أن حب الدنيا والركون إليها، ونسيان الآخرة سبب لهلاك الأمم؛ وذلك لأن الناس إن أحبوا الدنيا وركنوا إليها، انشغلوا بها وبجمعها من حلّها وغير حلّها ـ فلا همَّ لهم إلا أن يجمعوا الدنيا ـ فيدفعهم ذلك إلى إضاعة الصلاة والوقوع في معصية الله. ولذلك قال ـ تعالى ـ في كتابه رابطاً بين تضييع الصلاة وبين الشهوات فقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩].

عباد الله! حب الدنيا، ونسيان الآخرة سبب للذل والهلاك والدمار، من أجل ذلك حذرنا ربنا في كتابه من الدنيا، ووصفها لنا لنكون على علم بها فلا نغتر بها، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾ [فاطر: ٥]؛ أي: إن الموت حق، وإن القبر حق، وإن القيامة حق، وإن الميزان حق، وإن الجنة حق، وإن النار حق.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان: ٣٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس: ٧، ٨].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥، ١٦].

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٧٩١)، م: (٢٩٦١).

والله ﷻ الذي خلق الدنيا يصفها لنا في كتابه، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟! قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠].

ابن آدم! انظر إلى ما ترى في الدنيا من مال، وقصور، وسياراتٍ، وملكٍ، ورئاسةٍ، وضعْها في ميزان الله كما تسمع من كتاب الله، هكذا الدنيا تخضر أمامك ثم تهيج ثم تصير حطاماً، وتخرج منها يا عبد الله دون أن تأخذ من حطامها شيئاً، وفي الآخرة عذاب شديد لمن انشغل بالدنيا عن الآخرة، ومغفرة من الله ورضوان لمن انشغل بالآخرة عن الدنيا. ثم بعد ذلك يقول ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ٢١] عبادَ الله، سابقوا، سارعوا، إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

عباد الله! رسولنا الكريم ﷺ يحذر أمته من الدنيا، فيقول ﷺ كما سمعتم في وصيته: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع**» فبيَّن أن من أسباب الذل الركون إلى الدنيا، وقال ﷺ: «**إن لكل أمة فتنة، وإن فتنة أمتي المال**»(١)، وقال ﷺ: «**فاتقوا الدنيا واتقوا النساء**»(٢)، وقال ﷺ: «**إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها**»(٣)، وقال ﷺ: «**من كانت همَّه الآخرة، جمع الله له شمله، وجعل غناه في قلبه وأتتهُ الدنيا راغمةً، ومن كانت همَّه الدنيا،**

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٣٣٦)، ك: (٤/ ٣٥٤)، [«ص.ج» (٢١٤٨)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٧٤٢).

(٣) **صحيح**: خ: (١٣٩٦)، م: (١٠٥٢).

فرَّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له»(١).

فيا عباد الله! يا من تركتم الصلاة، وأكلتم الربا، وضيّعتم الطاعة، ووقعتم في المعصية، والله إنا لنجلس مع الأغنياء أصحاب الملايين فلا يشتكون إلا الفقر!! لأن من ترك طاعة الله جعل الله فقره بين عينيه، وهناك من الأغنياء من وضع الدنيا خلف ظهره فحافظ على الصلاة في الجماعة، وحافظ على دروس العلم، وانشغل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا همَّ له إلا الآخرة فجعل الله غناه في قلبه وفي يده، أما من انشغل بالدنيا عن الآخرة فإن الله ﷻ جعل فقره بين عينيه، وفرق شمله، فتراه يجمع الدنيا من الشمال والجنوب، والشرق والغرب، فلم يأتِه من الدنيا إلا ما قدَّر اللهُ له، قال ﷺ لابن عمر: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»، وكان ابن عمر يقول: «**إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك**»(٢)، وزاد في رواية أخرىٰ: «**وعدَّ نفسك من أصحاب القبور...، فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غداً**»(٣).

إخوة الإسلام! رسولنا ﷺ يبيّن لنا قيمة الدنيا في ميزان الله، مرَّ ﷺ بالسوق داخلاً من بعض العالية والناس كنفته فمرّ بجدي أسكَّ ميتٍ، فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال ﷺ: «**أيكُم يُحِبُ أن هذا له بدرهم؟**» فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به؟ قال: أتحبون أنه لكم؟ قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً فيه لأنه أسكُّ فكيف وهو ميت! فقال: فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم»(٤).

---

(١) **صحيح**: هـ: (٤١٠٥)، طب: (٥/ ١٤٣)، [«ص.ج» (٦٥١٦)].
(٢) **صحيح**: خ: (٦٠٥٣).
(٣) **صحيح**: ت: (٢٣٣٣)، هب: (٧/ ٣٤٩)، [«ص.غ.هـ» (٣٣٤١)].
(٤) **صحيح**: م: (٢٩٥٧).

هذه هي قيمة الدنيا التي من أجلها تركنا الصلاة، التي من أجلها قتل بعضنا بعضاً، التي من أجلها أكلنا الربا، التي من أجلها حَرَمَ الآباءُ الإناثَ من الميراث، التي من أجلها تركنا القرآن، ودروس العلم، هذه هي الدنيا التي من أجلها تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذه هي قيمة الدنيا، فاجمع يا ابن آدم من الدنيا ما شئت ولكن ليس على حساب الآخرة.

ابن آدم! لا تنس الآخرة، واعلم أنك راجع إلى الله، واعلم أن ما على التراب تراب، واتق يوماً ترجع فيه إلى الله، واعلم أن ما عندك ينفد وما عند الله باق، واعلم أن الميت إذا مات وخرج من الدنيا تبعه ثلاث: أهله، وماله، وعمله فيرجع اثنان: ـ ترجع الدنيا ـ المال، والولد، ويبقى (العمل) إن كان صالحاً أكرمك، وإن كان غير ذلك أهانك.

ابن آدم:

لا شيءَ مِمَّا تَرَى تَبْقَى بَشَاشتُهُ ... يَبْقَى الإلهُ ويَفْنَى المالُ والولدُ
لم تُغْنِ عنْ هُرْمُزٍ يوماً خزائِنُهُ ... والخلدَ قد حاولتْ عادٌ فما خَلدُوا
ولا سليمانَ إذْ تَجْري الرياحُ لهُ ... والإنسُ والجنُ فيما بينَها تردُ
أينَ الملوكُ التي كانَتْ لعزتِهَا ... مِنْ كلِّ أوبٍ إليها وافدٌ يَفِدُ
حوضٌ هُنالكَ مَوْرودٌ بلا كَذِبٍ ... لا بدَّ من ورده يوماً كمَا وردوا

ابن آدم! أين قارون الذي جمع المال؟ مات، أين ماله؟ ذهب، أين فرعون الذي قال: أنا ربكم الأعلى؟ مات! أين ملكه؟ ذهب، أين عاد الذين قالوا: من أشد منا قوة؟ ذهبوا، أين الأنبياء؟ أين الصالحون؟ أين الأغنياء؟ أين الضعفاء؟ أين الأقوياء؟ ذهبوا، وذهب المال، وذهبت الدنيا.

ابن آدم!

تزوَّدْ منْ معاشك للمعادِ ... وقُمْ للهِ وأجمَعْ خيرَ زادِ
ولا تجمعْ منَ الدنيا كثيراً ... فإنَّ المالَ يُجْمَعُ للنفادِ

أترضى أنْ تكونَ رفيقَ قومٍ   لهمْ زادٌ وأنتَ بغيرِ زادِ

عباد الله! أما السبب الثالث من أسباب الذل فهو: «**إذا تركتم الجهاد في سبيل الله**».

الجهاد في سبيل الله سبب من أسباب العزة والكرامة، فبالجهاد في سبيل الله نحمي الدين والمال والعرض والوطن، وإذا فرطنا في الجهاد في سبيل الله، وتركناه خلف ظهورنا ضاع الدين والوطن والعرض والمال وسلّط الله علينا الكفار فأذلونا، وإذا تكلمنا لا يُسمع لنا، وإذا اعترضنا لا ينظر في اعتراضنا، وها نحن قد تكالبت علينا الأمم لضعفنا يوم تركنا الجهاد في سبيل الله. وهناك كثير من الناس يظن ويعتقد أن الجهاد في سبيل الله فقط هو أن تجاهد الكفار، نعم، جهاد الكفار وإعداد العُدة للكفار، والاستعداد لملاقاتهم جهاد في سبيل الله، ولكنه نوع من أنواع الجهاد، ويجب على المسلمين أن يفهموا مراتب الجهاد ليجاهد كل مسلم حسب استطاعته، وخير البشر من جاهد بالمراتب الأربعة كما فعل ﷺ.

عباد الله! اعلموا أن مراتب الجهاد أربعة:

المرتبة الأولى: جهاد النفس.

المرتبة الثانية: جهاد الشيطان.

المرتبة الثالثة: جهاد الكفار والمنافقين.

المرتبة الرابعة: جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات.

عباد الله! أربعة مراتب للجهاد في سبيل الله، تعلّموا؛ حتى إذا سمعتم إنساناً يتكلم عن الجهاد في سبيل الله، وهو لا يجاهد نفسه ولا شيطانه، فاعلموا أنه يكذب، إذا رأيت إنساناً يتكلم عن الجهاد في سبيل الله وهو لا يحافظ على الصلاة في المسجد، ولا يحجِّب امرأته، ولا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، فاعلموا أَنه يكذب. فالجهاد في سبيل الله أربعة مراتب، ويكون ذلك أن تجاهد نفسك: بأن تتعلم دين الله، وأن تجاهد نفسك بأن تعمل بما تعلمت، وأن تجاهد نفسك بأن تدعو

الناس لهذا العلم، وأن تجاهد نفسك بأن تصبر على الدعوة في سبيل الله، وأن تدعو الناس إلى هذا العلم. المرتبة الثانية: جهاد الشيطان ـ الذي يجري منك يا ابن آدم مجرى الدم ـ أن تجاهده في رد ما يلقيه عليك من الشبهات والشهوات. المرتبة الثالثة: جهاد الكفار والمنافقين، ويكون ذلك بالقلب وباللسان وبالسلاح، وبالمال، ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، أَما أن ننشغل بجهاد الكفار، ونترك جهاد النفس وجهاد الشيطان، فهذا تضييع للوقت، ولذلك من انتبه منكم يا عباد الله إلى الوصية العظيمة التي بين أيدينا حيث يقول ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة.... سلّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم**»، ما قال ﷺ: لا ينزعه عنكم حتى تجاهدوا في سبيل الله، بل قال: «**حتى ترجعوا إلى دينكم**» أولاً، ثم عندها ترفع راية الجهاد في سبيل الله. المرتبة الرابعة: جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات؛ جاهدهم باليد إن استطعت، فإن عجزت فباللسان والحجة والبيان، فإن عجزت فبالقلب وذلك أضعف الإيمان. كما قال ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»(١).

فيا أمة الإسلام! حكّاماً ومحكومين، هل من عودة إلى الكتاب والسنّة؟ هل من رجوع إلى هذا الدين العظيم؟ لنتعلم هذا الدين وندعوا الناس إليه وعندها إن نصرَنا الله في أنفسنا نصرْنا الله: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

اللّهم رد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً



---

(١) **صحيح**: م: (٤٩).

٧٣

الوصية العاشرة (أ): «استوصوا بالنساءِ خيراً..»

عباد الله! الإيمان بالرسل الكرام ركن من أركان العقيدة. وها نحن لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ والتي من الواجب على المسلمين نحو رسول الله ﷺ أن يقبلوها، وأن يعملوا بها، وأن يعضوا عليها بالنواجذ.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية العاشرة، **عن أبي هريرة** رضي الله عنه **قال: قال رسول الله** ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيراً، فإنهن خُلقن من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً**»[(١)].

وصية عظيمة من رسول عظيم يوصي فيها الرجال بالنساء.

عباد الله! والذي دفعني للحديث عن المرأة في هذا اليوم أمران اثنان:

الأمر الأول: أن كثيراً من الزنادقة، وأعداء الإسلام ينبحون كالكلاب في كل مكان يقولون: إن الإسلام لم يعطِ للمرأة حقها، فأردت أن أبيّن لكم من خلال الكتاب والسنّة أن الإسلام وحده هو الذي أعطى للمرأة حقها وأكرمها.

الأمر الثاني: أننا نسمع في هذا الزمان العجيب عن كثير من الآباء تجرَّأوا، وتعدُّوا حدود الله وحرموا الإناث من الميراث، فنقول لهؤلاء

(١) **صحيح**: خ: (٤٨٩٠).

الآباء، لقد ظلمتم وتعديتم حدود الله، وجُرْتم في الوصية وستندمون في وقت لا ينفع فيه الندم.

عباد الله! من العدل قبل أن نتكلم عن المرأة في الإسلام أن نشير إلى المرأة قبل الإسلام أي: في الجاهلية، وفي بلاد الكفر اليوم، ليتبيّن لنا بوضوح أن الإسلام وحده هو الذي كرّم المرأة وهو الذي أعطاها حقها.

عباد الله! المرأة قبل الإسلام أي: في الجاهلية، كانت بمثابة العار، والله ﷻ يصور لنا في كتابه مشهداً عظيماً يبيّن لنا فيه حال الرجل في الجاهلية إذا بُشر بالأُنثى، يقول الله ـ ﷻ ـ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩].

فهل هذا يتكرر في القرن العشرين يا معشر المسلمين؟ إذا بُشر أحدهم بالأُنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم ـ أي: يهرب من القوم ـ من سوء ما بُشر به؟ الجواب: نعم، ماذا يفعل هذا الجاهل؟ أيمسكه على هون ـ أي على ألم ـ أم يدسه في التراب؟ وهذه هي جريمة وأد البنات، جريمة شنعاء يشترك فيها الرجال والنساء. وبالمثال يتضح البيان:

• كان الرجل في الجاهلية إذا جاءته الأنثى، أمسكها على مضض وألم، حتى إذا بلغت السادسة من عمرها زينها وطيبها وأخذها من يدها إلى الصحراء، حتى إذا وجد بئراً من الآبار قال لابنته: انظري في هذا البئر، فإذا نظرت فيه دفعها من الخلف، وأهال عليها التراب، ورجع سعيداً مسروراً لأنه تخلص من العار.

• وكانت المرأة في الجاهلية إذا حملت وجاءها المخاض أي: جاء وقت الولادة، ذهبت إلى الصحراء، وجلست بجوار البئر، فإن وضعت

غلاماً حملته ورجعت إلى أهلها، وإن وضعت أنثى ألقتها في البئر، وهذا يبيّن لنا أن المرأة كانت في الجاهلية بمثابة العار.

• أما المرأة في بلاد الكفر اليوم فإنهم لا يحبونها طفلة، وإذا بلغت سن الشباب فهي عندهم سلعة تجارية رخيصة يصورونها على السلع، فلا تباع السلعة إلا إذا وضعت عليها صورة فتاة جميلة، حتى وجدنا ذلك على شفرات الحلاقة، وعلى إطارات السيارات، فهي رخيصة عندهم، وحتى عرضها رخيص عندهم، فإن الرجل في بلاد الكفر ـ ولو كان مسلماً يتسمى بالإسلام ـ يترك ابنته تتخذ صديقاً لها، فما هي إلا أيام يذهب بها ويمرح معها، وينام معها ـ وهذا شيء متفق على مشروعيته في بلاد الكفر ـ وما هي إلا أيام وإذا هو قد أفقدها أعز ما تملك! أفقدها شرفها!! فهي رخيصة جداً عندهم وقد جاءت إحصائية تفيد أَن ٨٠٪ من طالبات المدارس الثانوية في بلاد الكفر حبالى من الزنا. وأما إذا بلغت المرأة سن الشيخوخة عند الكفار فإنهم لا يطيقون وجودها فيأخذونها ليودعوها دار المسنين مقابل مبلغ من المال يدفعونه، وفي يوم واحد في السنة يزورونها، وهذا ما يسمى بعيد الأم عندهم والذي قلدناهم فيه! إنها السَّنَنُ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

عبادَ الله! هذا حال المرأة في الجاهلية أي قبل الإسلام، وهذا حال المرأة في بلاد الكفر، وأما حالها في الإسلام فقد أعطى الإسلام للمرأة حقها طفلة عند أبيها، وزوجة عند زوجها، وأماً عند أبنائها. فالحمد لله على نعمة الإسلام والسنّة الذي جعل من المرأة جوهرة ثمينة فكرمها وأعطاها حقها وعن ذلك كله حدث ولا حرج:

أولاً: جاء الإسلام فكرَّم المرأة كما كرم الرجل، قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠].

ثانياً: جاء الإسلام فحرَّم قتل البنات، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ

سُئِلَتۡ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ﴿٩﴾﴾ [التكوير: ٨، ٩]. وقال ﷺ: «**إن الله تعالى حرَّم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات...**»(١) إلخ؛ أي: قتل البنات.

ثالثاً: جاء الإسلام فحرّم على الرجال أن يظلموا النساء، فقال ﷺ: «**اللّهم إني أحرج** ـ أي: أحذر ـ **حق الضعيفين: اليتيم والمرأة**»(٢).

رابعاً: جاء الإسلام فكرّم المرأة، فإن الله ـ ﷻ ـ قدّم في كتابه هبة الإناث على هبة الذكور.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠]. وأنزل سورة كاملة في كتابه باسم النساء تكريماً للمرأة.

خامساً: أعطى الإسلام للمرأة حقها من الميراث: عند أبيها فقال ـ تعالى ـ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ [النساء: ١١]، وأعطى للمرأة حقها من الميراث عند زوجها، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ﴾ [النساء: ١٢].

سادساً: جاء الإسلام فكرّم المرأة فجعل الإحسان إليها ستراً من النار، فقال ﷺ: «**من ٱبْتُلِيَ من البنات بشيء، فأحسن إليهن كن له ستراً من النار**»(٣).

سابعاً: جاء الإسلام فجعل الإحسان إلى المرأة سبباً لدخول الجنة مع رسول الله، فقال ﷺ: «**من عال جاريتين حتى يُدركا، دخلت أنا وهو الجنة، كهاتين**»(٤).

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٢٧٧)، م: (٥٩٣).

(٢) **حسن**: هـ: (٣٦٧٨)، حم: (٢/٤٣٩)، ك: (١/١٣١)، هق: (١٠/١٣٤)، [«ص.هـ» (٢٩٦٧)].

(٣) **صحيح**: م: (٢٦٢٩).

(٤) **صحيح**: خد: (٨٩٤)، ك: (٤/١٩٦)، م: (٢٦٣١)، [«ص.ج» (٦٣٩١)].

ثامناً: وكرّم الإسلام المرأة فأمرها بالجلوس في بيتها قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وهذا الأمر من الله تكريمٌ للمرأة؛ فالمرأة إذا جلست في بيتها لخدمة زوجها ولتربية أولادها فهذا تكريم من الله لها، وكرّمها كذلك حين حذّرها من التبرج فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فالمرأة إذا تحجبت فهي مصونة عفيفة مُكرَّمة قد حافظ عليها أبوها إذ حجبها، وحافظ عليها زوجها إذ حجبها، ولكن إذا باعت لحمها في الشوارع فهي رخيصة. والله ﷻ عندما أمر المرأة بالحجاب، وحذرها من التبرج كان هذا تكريماً للمرأة. فالإسلام أعطى للمرأة حقها في الدنيا والآخرة كما أعطى الرجل، فقال ـ تعالى ـ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]. فيا دعاة تحرر المرأة في القرن العشرين، ويا دعاة التبرج والزندقة، نقول لكم: الإسلام وحده هو الذي أعطى للمرأة حقها عند أبيها، وعند زوجها، وعند أولادها.

عبادَ الله! أمّا حقُّ المرأة عند أَبيها فهو:

أولاً: أُمر الوالد أن يحسن تربية البنات كما سمعتم من قوله ﷺ: «**من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار**»(١) وأمره أن يأمرها بالصلاة، وبالحجاب، والعفاف، وأن يربيها على الإسلام وعلى مائدة القرآن والسنّة.

ثانياً: أمر الإسلام الوالد أن يختار لابنته الزوج الصالح، وألا يؤخر زواجها بسبب الدراسة أو بسبب رفع المهور، أو بسبب أنه يبحث لها عن

---

(١) **صحيح**: م: (٢٦٢٩).

الغني، أو صاحب المنصب، قال ﷺ: «**إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوِّجوه**»(١).

ثالثاً: جاء الإسلام وأعطى المرأة حقها في الميراث، فنقول للآباء: من حق المرأة على والدها ألا يحرمها من الميراث؛ لأن الله ﷻ وصَّاك أيها الوالد بذلك فقال ـ تعالى ـ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ [النساء: ١١]، فيا معشر الآباء! يا من تجرأتم على حِرمان الإناث، أَلا ترضى يا عبد الله بقسمة الله! أَلا ترضى يا عبد الله بحدود الله! أأنتم أعلم أم الله؟ وقد فرض الله عليك أيها الأب هذا النصيب للبنت، فقال ـ تعالى ـ: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ۝٧﴾ [النساء: ٧]، فالذي يحرم الإناث ويعطي الذكور قد تعدى حدود الله، ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ [الطلاق: ١].

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشهده أنه أعطى أحد أبنائه دون الآخرين فقال له ﷺ: «**فلا تشهدني إذا؛ فإني لا أشهد على جَوْر**»(٢).

يا من حرمتم الإناث، هذه حادثة أضعُها بين أيديكم لكي تتذكروا يا معشر الآباء.

(هذا أبٌ ظالم تعدى حدود الله، وجار في الوصية، وأعطى تركته للأبناء وحرم الإناث، ونام هذا الوالد الجائر في فراش الموت، وجاءت ابنته تزوره وتهمس في أذنه: يا أبي، أعطني حقي من الميراث ـ ألوف مؤلفة حرمها منها ـ يا أبي ما هي إلا لحظات وتنتقل إلى الدار الآخرة، أعطني حقي من الميراث، فرفض هذا الأبُ الجائر الظالم، فقالت الفتاة بقلب منكسر: اللّهم أحرم أبي الجنة كما حرمني حقي من الميراث).

---

(١) **حسن**: ت: (١٠٤٨)، هـ: (١٩٦٧)، طب: (٢٢/ ٢٩٩)، طس: (١/ ١٤١)، هق: (٧/ ٨٢)، [«مشكاة المصابيح» (٣٠٩٠)].

(٢) **صحيح**: م: (١٦٢٣).

عباد الله! الإسلام قد أعطى للمرأة حقها عند أبيها؛ فأوصاه أن يربيها على الإسلام، أن يزوجها لرجل صالح وألا يحرمها من الميراث، فاحذروا يا معشر الآباء فإن المرأة ضعيفة، إذا دعت عليك أيها الأب استجاب الله لها، والرسول ﷺ يقول: «**اللّهم إني أُحرِّجُ حق الضعيفين اليتيم والمرأة**»(١). فليحذر كل من يجور على الضعيفين: المرأة واليتيم، وإياكم يا معشر الآباء من الحيل، فالذي تفعله يا عبد الله في حياتك هو: إِما أن تقسم كما شرع الله، وإما أن تترك الميراث لهم يقسمون بعد الموت، فإن جاروا؛ فالظلم عليهم، والإثم عليهم. أما أَن تتجرأ على حدود الله، وتعطي للأولاد الألوف المؤلفة وتعطي البنات الدنانير القليلة آلله أمرك بهذا؟ ماذا تقول لربك إذا وقفت بين يديه للحساب؟ وأنتم يا معشر الأولاد، أنصحكم إذا أعطاكم الأب شيئاً من الميراث وشعرتم أن ذلك ظلم للبنات فلا تقبلوا، فإن من يقبل من أبيه فقد تعاون معه على الإثم والعدوان وقد اشترك معه في الجريمة.

أما حق المرأة عند زوجها فهذا ما سنعرضه في الجمعة القادمة ـ إِن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية.

* أما حق المرأة عند أولادها فيكفينا في ذلك تكريماً للمرأة أن جعل الله ﷻ أحب الأعمال إليه بعد عبادته بر الوالدين، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣] وفي المقدمة الأم، جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «**يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك**»(٢). صحبة حسنة للأم من أبنائها بالليل والنهار سراً وعلانية، ويا ويل من فرط في أمه، يا ويل من ماتت أمه وهي غضبانة عليه، والله سيرى الذل في الدنيا قبل الآخرة؛ يقول ﷺ

(١) **حسن**: هـ: (٣٦٧٨)، حم: (٢/٤٣٩)، [«ص.هـ» (٢٩٦٧)].
(٢) **صحيح**: خ: (٥٦٢٦)، م: (٢٥٤٨).

لرجل: «**الزم رجلها فثم الجنة**»[(١)]، وجاء شاب إلى رسول الله ﷺ يستأذنه في الجهاد في سبيل الله فقال ﷺ: «**أحي والداك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد**»[(٢)]. الذين يأخذون الآباء والأمهات ويضعونهما في دور المسنين فيا حسرة عليهم! حملتك في بطنها، وأرضعتك، وربتك، وأنفقت من قلبها ودمها عليك فلما صرت رجلاً وتزوجت أخذت بحسن الصحبة لزوجتك؟! حالنا يقول: من أحق الناس بالصحبة؟ زوجتك، ثم من؟ زوجتك، ثم من؟ زوجتك، ثم من؟ أمي، إلا من رحم ربي.

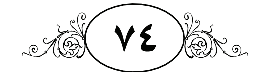
عباد الله! الإسلام أعطى للمرأة حقها بنتاً عند أبيها، وأُماً عند أبنائها، فاتق الله في ابنتك ولا تحرمها من الميراث، واتق الله في أمك وبرّها فما هي إلا أيام وتفارقك بالموت، يا عبد الله! إنها إذا دعت لك ثم انتقلت إلى الدار الآخرة فستعيش مطمئناً بعد ذلك، ولكن إذا فرطت فيها وأهملتها، وماتت وهي غاضبةٌ عليك، ستندم والجزاء من جنس العمل وكما تدين تدان.

اللّهم اجعلنا من البارين بوالدينا

❊ ❊ ❊

(١) **صحيح لغيره**: هـ: (٢٧٨١)، ش: (٥/ ٢١٩)، طب: (٨/ ٣١١)، [«ص.غ.هـ» (٢٤٨٤)].

(٢) **صحيح**: خ: (٢٨٤٢)، م: (٢٥٤٩).



الوصية العاشرة (ب): «استوصوا بالنساءِ خيراً..»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن الوصية العاشرة من وصايا المصطفى ﷺ.

يقول ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيراً، فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء**»(١). وصية عظيمة من رسول عظيم يوصي فيها المصطفى ﷺ الرجال بالنساء.

● وقد قلنا في الجمعة الماضية: إن المرأة في الجاهلية قبل الإسلام كانت بمثابة العار.

● وقلنا أيضاً: إن المرأة في بلاد الكفر سلعة رخيصة يتاجرون بها، ولا يعرفونها إلا عند الشهوة، أو وهي تعمل بين الرجال وفيما عدا ذلك فلا قيمة لها، وتبيّن لنا في الجمعة الماضية أن الإسلام وحده هو الذي أعطى للمرأة حقها، بنتاً عند أبيها، وزوجة عند زوجها، وأُماً عند أبنائها. وقد تكلمنا في الجمعة الماضية عن حق المرأة عند أبيها، وقلنا: إنه يجب على الأب نحو ابنته أن يربيها تربية إسلامية، وأن يبحث لها عن صاحب الدين، وأن يعطيها حقها من الميراث، وتكلمنا أيضاً عن حق المرأة عند أولادها.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع حق المرأة عند زوجها.

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٨٩٠)، م: (١٤٦٨).

عباد الله! الزواج بين الذكر والأنثى سنّة من سنن الله في هذا الكون، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذاريات: ٤٩]، ومن التقاء الذكر بالأنثى خلق الله الناسَ، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

وشرع الله ﷻ الزواج لكي يسكن الزوج إلى زوجته، والزوجة إلى زوجها، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١].

عباد الله! والأسرة التي تتكون من الرجل والمرأة لا بد لها من قيِّم يقوم عليها، ولا بد لها من راعٍ يرعاها، ولا بد لها من رئيس يترأسها، فمن لهذا المنصب يا عباد الله، الرجلُ أم المرأة؟ الله ﷻ الذي خلق الرجال والنساء هو الذي وضع القوامة في يد الرجل، فقال ـ تعالى ـ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ﴾ [النساء: ٣٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ﴾ ـ أي على النساء ـ ﴿دَرَجَةٌ ۗ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. فالله ﷻ هو الذي أعطى للرجل هذه الدرجة، وهو الذي جعل قوامة الأسرة في يده، وانظروا معي إلى بيت تكوّن من رجل وامرأة، القوامة في يد الرجل، هو الذي يخرج خارج البيت، ويأتي بالطعام والشراب، والمرأة في بيتها لخدمة زوجها وأبنائها، فهي أسرة سعيدة ترفرف رايات السعادة عليها، أما إذا قلبت الموازين ووضعت القوامة في يد المرأة، فهي التي تعمل، والرجل يجلس في البيت، وهي التي تأمر وتنهى، فإذا بها أسرة منحلة، أسرة مهددة لا تنجب رجالاً للمجتمع بل تنجب الشياطين، وهذا ما نراه ونسمعه كثيراً في مجتمعات هذا القرن العجيب، فإن كثيراً من الأسر خرج فيها الزمام من يد الرجل وأصبح في يد المرأة فهلك الجميع.

عباد الله! الرجل قوَّام على المرأة بنص القرآن، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾.

عباد الله! من أجل سعادة الزوجين في بيت الزوجية جاء الإسلام وجعل للزوج حقوقاً على زوجته، وللزوجة حقوقاً على زوجها. كما قال ﷺ: «**إن لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً**»(١)، فإذا أدى الزوج حق الزوجة وأدت الزوجة حق الزوج عاشا في سعادة ما بعدها سعادة.

وموعدنا في هذا اليوم فقط مع حق الزوجة على زوجها.

عباد الله! يجب على الرجال أن يعترفوا بأن للزوجة حقاً على زوجها كما قال ﷺ: «**ولنسائكم عليكم حقاً**»، وكما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَهُنَّ﴾؛ أي: النساء ﴿مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فبنص القرآن وبنص السنّة للنساء على الرجال حق فيجب على الرجل أن يعترف وأن يُقِرَّ أن للزوجة عنده حقاً، ويجب عليه أن يؤدي هذا الحق.

الحق الأول ـ أن يعاشرها بالمعروف؛ فعلى الزوج أن يتقي الله ﷻ في زوجته التي جاءت من عند أبيها لخدمته وليستمتع بها بشرع الله، وعليه أن يعاشر هذه المرأة بالمعروف كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

فيا معشر الرجال، الله ﷻ يقول: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ فإذا صدر من المرأة شيء تكرهه فاصبر عليها، ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، كم من الرجال إذا بدا من زوجته شيء ربما طلقها بسبب هذا الشيء البسيط ولم يصبر عليها.

• اذهبوا إلى المحاكم، وانظروا إلى المطلقات من النساء، واللهِ هناك من الفتيات ما بلغن السادسة عشرة من أعمارهِنَّ وذهبن إلى

---

(١) **حسن**: ت: (١١٦٣)، هـ: (١٨٥١)، [«ص.ج» (٧٨٨٠)].

المحكمة ليُطَلَّقن، ما السبب؟ عدم الصبر من الزوج على زوجته، شباب لا دين لهم، والوالد يزوج ولده وهو يعلم أنه لا يعرف شيئاً من دينه، فإذا بدر من هذه الزوجة القليل أو ربما تراكم هذا الشيء وتضخم وكَبُرَ فلربما يطلقها بسبب هذا الأمر، ولو صبر على هذا الشيء الذي كرهه لكان خيراً له. يقول ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخيارُكُم خياركم لنسائهم**»(١)، ويقول ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأَنا خيركم لأهلي**»(٢).

الحق الثاني ـ أن يخلّصها من عذاب جهنم:

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان: ٦٥، ٦٦]. ويكون ذلك استجابة لأمر الله وابتغاء مرضاة الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦]. فعلى الزوج أن يتقي الله في زوجته، وأن ينّجيها ويخلِّصها من عذاب جهنم وذلك بأمور:

الأَمر الأول: أن يفقهها في دينها، ولا يكون ذلك إلا بأن يتفقه في دينه أولاً، ويفقه أهله ثانياً، لقوله ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»(٣).

● فإما أن يأتي إلى المسجد ليتعلم دين الله، ثم يعود إلى أهله ويعلّمها هذا الدين، وإما أن يأتي بها إلى دروس العلم لتتعلم؛ لتتعلم كيف تعبد الله، لتتعلم كيف تنجو من عذاب الله، لتتعلم كيف تطيع زوجها ابتغاء مرضاة الله، أو أن يأتي إلى البيت بما يساعدها على أن تتفقه في دينها بأن يشتري لها كتاباً دينياً أو شريطاً دينياً لتتفقه في دينها.

---

(١) **صحيح**: ت: (١١٦٢)، حب: (٤١٧٦)، [«ص.ج» (١٢٣٢)].
(٢) **صحيح**: هـ: (١٩٧٧)، بز: (٣/ ٢٤٠)، هب: (٧/ ٤٦٦)، [«ص.ج» (٣٣١٤)].
(٣) **صحيح**: خ: (٧١)، م: (١٠٣٧).

• أما من جاء لزوجته بالمفسديون فأفسد دينها ودنياها، فوالله يا أيها الراعي لهذا البيت إنك مسؤول عن رعيتك يوم القيامة، فإذا فسدت الزوجة، أو فسد الأولاد بسبب المفسديون الذي اشتريته أنت بمالك وجئت به إلى البيت، فيا ويل من استرعاه الله على رعية فضيع رعيته وخانها.

الأمر الثاني: أن يأمر زوجته بالصلاة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم: ٥٥]؛ لأنها إذا تركت الصلاة وماتت على ذلك دخلت النار، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر: ٤٢، ٤٣].

عباد الله! كم منا من يأتي إلى المسجد يصلّي وأولاده وزوجته لا يصلّون، والله يا عبد الله، لسوف تُسْأَل يوم القيامة عن ذلك، تسمع المواعظ وتصلّي، وزوجتك في اليبت لا تصلّي!!! إنا لله وإنا إليه راجعون.

الأمر الثالث: أن يأمرها بالحجاب؛ لأنها إذا تبرجت هلكت، يقول ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات،...**»[(١)] الحديث. فليسمع الذي سمح لزوجته بالتبرج، والذي يمشي في الشارع وزوجته بجواره متبرجة، وإذا سألتَ عنه وجدته يصلّي ويسمى أحمد، أو محمد، أو إبراهيم، أو علي، فيا حسرة على العباد!! أترضى يا عبد الله للحمك وعرضك أن يباع رخيصاً في الشوارع للذئاب؟!!.

أمة الإسلام! ما نراه في شوارع المسلمين اليوم من أين جاءنا؟ أوجدنا هذا في كتب الفقه، أو وجدنا هذا عن أمهات المؤمنين! من أين جاءنا! من المفسديون نقلد تقليداً أعمى، تركنا الحبل على الغارب، ولا

---

(١) **صحيح**: م: (٢١٢٨).

نتنبه إلا إذا حملت المرأة من الزنا، عندها نتنبه، وعندها نقتل، وأين نحن عندما اشترينا المفسديون، وأين نحن عندما اشترينا الملابس الخليعة؟ وأين نحن عندما سمحنا للزوجة والفتاة أن تتبرج؟ أين الغيرة؟! أين الشهامة؟ أين الكرامة والعزة؟ ماذا أقول؟!! المقام لا يسمح أن أذكر، ولكن اللبيب بالإشارة يفهم. وإلى من عنده ذرة من الإحساس وقد سمح لزوجته وابنته أن تبيع لحمها للذئاب في الشوارع، أقول فليتقِ الله وليعلم أنه سيموت، وسيقف أمام الله وسيُسأَل عن هذا العرض، وإن الإنسان إذا أصيب في ماله يتحمل، وإذا أصيب في صحته يتحمل ويصبر، إذا حرق بيته يتحمل، ولكن إذا أصيب في عرضه طأطأ رأسه، وأسود وجهه، وخرس لسانه.

الحق الثالث ـ أن يطعمها ويسقيها من الحلال، وأن يؤدبها كما أمره الله إذا رأى منها نشوزاً.

يا أيها الزوج، الزوجة جاءت من بيت أبيها لا من أجل الطعام والشراب، ولا جاءت عندك عبدة، إنما هي إنسانة ولها كرامة، والإسلام أعطاها حقها، يقول الله ﷻ: ﴿وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ﴾ ـ المرحلة الأولى أن تعظ الزوجة إذا نشزت ـ ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤] وعظ، ثم هجر في البيت، ثم ضرب غير مبرح، هكذا يؤدب الرجل زوجته ابتغاء مرضاة الله. ورسولنا ﷺ في حجة الوداع بعد أن حمد الله وأثنى عليه وعظ الناس وذكرهم، قال ﷺ: «**ألا واستوصوا بالنساء خيراً؛ فإنما هنَّ عوان عندكم ليس تملكون منهنَّ شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبيَّنة؛ فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضرباً غير مبرِّح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً**»(١). والفاحشة هنا ليست الزنا، وقال ﷺ للذي سَأَلَ عن حق الزوجة على الزوج: «**أن تُطعِمها إذا طَعِمت، وتكسوها إذا**

(١) **حسن**: ت: (١١٦٣)، هـ: (١٨٥١)، [«ص.ج» (٧٨٨٠)].

اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبِّح، ولا تهجر إلا في البيت»(١)، فحرام على الزوج أن يضرب زوجته على وجهها، وحرام على الرجل أن يضرب ابنه أو خادمه على وجهه.

الحق الرابع ـ أن يحفظ سرها:

أي كل ما كان بين الزوج والزوجة من أسرار الفراش فلا يخبر بذلك أحداً، وهناك كثير ممن لا عقل له ـ مازحاً بين أصحابه ـ يذكر ما بينه وبين أهله بالليل، وهؤلاء من أشر الناس منزلة يوم القيامة.

يقول ﷺ: «**إن من أشَرِّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه ثم ينشُرُ سِرَّها**»(٢)، وقالت أسماء بنت يزيد رضي الله عنها: كنا عند رسول الله ﷺ، والرجال والنساء قعود، فقال ﷺ: «**عسى رجل يحدث بما يكون بينه وبين أهله، أو عسى امرأة تحدث بما يكون بينها وبين زوجها، فأرم القوم ـ أي: سكتوا وجلين ـ فقالت أسماء: إي والله يا رسول الله إنهم ليفعلون وإنهن ليفعلن، قال ﷺ: فلا تفعلوا؛ فإن مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة في ظهر الطريق فغشيها والناس ينظرون**»(٣).

الحق الخامس ـ أن يحافظ على عِرضها وشرفها:

ويكون ذلك يا عباد الله بأمور:

أولاً: أن يعطي الزوج زوجته حقها في الفراش، كما قال ﷺ: «**ولزوجك عليك حقاً**»(٤) فالزوجة لها حق، ـ حق المعاشرة، حق الزوجية ـ فالمرأة تأكل وتشرب وتنام في بيت أبيها، وإنما تزوجت للغريزة التي أوجدها الله في المرأة والرجل، فإن فرّط الزوج في هذا الحق بأن كان

---

(١) **صحيح**: د: (٢١٤٢)، حم: (٤/ ٤٤٧)، هق: (٧/ ٣٠٥)، «ص.غ.هـ» (١٩٢٩)].
(٢) **صحيح**: م: (١٤٣٧).
(٣) **حسن**: طب: (٢٤/ ١٦٢)، حم: (٦/ ٤٥٦)، ش: (٤/ ٣٩)، [«ص.ج» (٤٠٠٨)].
(٤) **صحيح**: خ: (١٨٧٤)، م: (١١٥٩)].

يخون زوجته، أو كان يزني، أو كان طوال يومه مع صاحباته في العمل؛ دفع زوجته بذلك إلى أن تخونه، ويُسأل هو يوم القيامة عن ذلك.

ثانياً: أن يمنع زوجته منْ مجالسة الرجال الأجانب لقوله ﷺ: «... **ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان..**»(١)، وهناك كثير من الأزواج يسمح لزوجته أن تجلس مع ابن عمها، وابن خالها، وابن خالتها، وصديقه إلى غير ذلك، فكم من الأسر هدِّمت بسبب هذه الفوضى؟!.

ثالثاً: على الزوج ألا يتأخر كثيراً بعد العشاء عن زوجته، وليتق الله كل من يسهر مع أصحابه إلى وقت متأخر من الليل ويعود آخر الليل وربما يعود سكران لا يدري أين بيته، وأين زوجته، فالمرأة في بيتها في حاجة إلى زوج كما هي في حاجة إلى الطعام والشراب، وليتق الله الذين يسافرون من أجل الدنيا إلى بلاد بعيدة ويتركون نساءهم.

الحق السادس ـ على الزوج إذا تزوج على زوجته أن يعدل بين زوجتيه:

يقول ﷺ: «**من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل**»(٢)، فمن حق الزوج على زوجته إذا تزوج عليها أن يعدل بينهما.

عباد الله! الحياة الزوجية تحتاج إلى صبر من الزوج والزوجة، وإذا صبر الزوج على زوجته وقَبِلَ هذه الوصية سَعِدَ في الدنيا والآخرة، يقول ﷺ: «**واستوصوا بالنساء خيراً**»(٣)، وقال ﷺ: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خُلُقاً رضي منها آخر**»(٤).

اللّهم رد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً

---

(١) **صحيح**: ت: (٢١٦٥)، حم: (١/١٨)، حب: (٥٥٨٦)، ك: (١/١٩٧)، فع: (١٢٠٧)، لس: (٣١)، طس: (٣/٢٠٤)، [«ص.ج» (٢٥٤٦)].

(٢) **صحيح**: د: (٢١٣٣)، مي: (٢٢٠٦)، [«ص.ج» (٦٥١٥)].

(٣) **صحيح**: خ: (٤٨٩٠)، م: (١٤٦٨).

(٤) **صحيح**: م: (١٤٦٩).



الوصية الحادية عشرة
«لا يصلح لبشرٍ أن يسجد لبشر»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ، وفي الجمعة الماضية تكلمنا عن حق الزوجة على زوجها، وقلنا: إن للزوجة على زوجها حقاً عظيماً بنص القرآن الكريم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَهُنَّ﴾ ـ أي: للنساء ﴿مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨] وبنص السنّة النبوية:

قال ﷺ: «**ولنسائكم عليكم حقاً**»(١)، وقال ﷺ: «**واستوصوا بالنساء خيراً**»(٢)، وقال ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**»(٣)، فمن هذه الأدلة يا عباد الله تبيّن شرعاً أن للزوجة حقاً على زوجها، فليتقِ الله كل منا في زوجته ويعطي لها حقها طاعة لله ولرسوله ﷺ.

عباد الله! ومن العدل أن نتكلم عن حق الزوج على زوجته لتعيش الأسرة في سعادة في الدنيا والآخرة إن شاء الله تعالى؛ لأن الزوج له حق على زوجته عظيم، يقول ﷺ: «**ألا إنَّ لكم على نسائكم حقاً...**»(٤).

عباد الله! وحق الزوج على زوجته عظيم يظهر لنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى من الوصية الحادية عشرة من وصايا المصطفى ﷺ:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يصلح لِبَشرٍ**

---

(١) **حسن**: ت: (١١٦٣)، هـ: (١٨٥١)، [«ص.ج» (٧٨٨٠)].
(٢) **صحيح**: خ: (٤٨٩٠)، م: (١٤٦٨).
(٣) **صحيح**: هـ: (١٩٧٧)، بز: (٣/ ٢٤٠)، هب: (٧/ ٤٦٦)، [«ص.ج» (٣٣١٤)].
(٤) **حسن**: ت: (١١٦٣)، هـ: (١٨٥١)، [«ص.ج» (٧٨٨٠)].

أن يسجد لبشر، ولو صلح أن يسجد بشر لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عِظم حقه عليها، والذي نفسي بيده لو أن من قدمه إلى مفرق رأسه قُرحةٌ تنبجس بالقيح والصديد ثم أقبلت تلحسُهُ ما أدت حقه»[١].

عباد الله! اسمعوا وعوا وانقلوا ذلك لنسائكم؛ فالمرأة إذا تربّت على مائدة القرآن والسنّة سعدت في الدنيا في بيت زوجها، وفي الآخرة في جنات النعيم، وإذا تربت على مائدة المفسديون والفساد فلن تشعر بطعم السعادة في الدنيا مع زوجها وستندم في الآخرة عند ربها ﷻ.

وأين المرأة التي ترفع صوتها على زوجها من هذه الوصية؟ وتلك المرأة التي تشتم زوجها أين هي من هذه الوصية؟ والمرأة التي تدعو على زوجها أين هي من هذه الوصية؟ ولكن متى تعرف الزوجة حق زوجها عليها؟ إذا مات عنها وترمَّلت وتعرضت لكلام الناس، وتعرضت للقيل والقال، عندها تعرف حق زوجها وتعرف قيمته، عندما تعيش بعده وتقول: يا ليته بقي معي ولو كان مريضاً لا يخرج من البيت.

عباد الله! والسؤال المهم الذي علينا معرفة إجابته هو:

ما هو حق الزوج على زوجته من الكتاب والسنّة؟

عباد الله! حقوق الزوج على زوجته كثيرة ولكن نشير إلى أهمها، واللبيب تكفيه الإشارة.

أولاً: يجب على الزوجة أن تطيع زوجها في كل ما أمر ما لم يأمر بمعصيةٍ؛ لأن في طاعته سبب لدخولها الجنة. قال ﷺ: **«إذا صلّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت»**[٢].

- وأما إذا عصت الزوجة زوجها وأنكرت حقه فسيكون مصيرها

---

(١) **صحيح**: حم: (٣/١٥٨)، [«ص.ج» (٧٧٢٥)].

(٢) **حسن لغيره**: حم: (١/١٩١)، [«ص.غ.هـ» (١٩٣٢)].

النار يقول ﷺ: «**اطلعتُ في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**»(١).

عباد الله! ولكن يجب على المرأة المؤمنة التي تطيعُ زوجها طاعة لله ولرسوله، أن تعلم أنها لا يجوز لها أن تطيعه في المعصية؛ فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. وبالمثال يتضح البيان:

● إذا طلب الزوج من زوجته أن تتزين له بإزالة الشعر من وجهها، أو بترقيق حواجبها فلا طاعة له؛ لأنها معصية، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**لعن الله النامصة والمتنمصة**»(٢)، أستحلفكم بالله كم منا تقع زوجته في هذه المعصية؟! الجواب معلوم حتى ممن يدعون الالتزام، إذا نظر المرء إلى زوجته يراها وقد رقَّقَت حواجبها، عباد الله، اعلموا أن ذلك حرام، وأن ذلك معصية؛ والمرأة بفعلها هذا ملعونة لأن الله لعن النامصة والمتنمصة.

مثال آخر: إذا طلب الزوج من زوجته أن تخرج إلى الشارع متبرجة كاسية عارية سافرة، أراد أن يتباها بها في الشارع، أراد أن يعرضها في الشارع، أراد هذا الزوج الديوث أن يبيع لحمه وعرضه رخيصاً في الشارع، فلا يجوز للمرأة أن تستجيب لطلبه لأنه معصية، والله ﷻ يضع العاصي في نار جهنم إذا أصر على معصيته، فالله ﷻ قال: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقال ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»(٣).

مثال ثالث: إذا طلب الزوج من زوجته أن يجامعها في الحيض، أو يجامعها في غير المكان الذي شرعه الله فلا طاعة له، قال ﷺ: «**من أتى**

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٠٦٩)، م: (٢٧٣٧).

(٢) **صحيح**: م: (٢١٢٥).

(٣) **صحيح**: م: (٢١٢٨).

حائضاً ـ أي جامعها في الحيض ـ أو امرأة في دبرها، أو كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»[(١)]، فلا طاعة للزوج إذا طلب ذلك لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

مثال رابع: إذا طلب الزوج من زوجته أن تجلس مع الرجال الأجانب، وأن تصافحهم، وأن تخلو بهم فلا طاعة له، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. وقال ﷺ: «**إيَّاكم والدخول على النساء!**»، فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال: «**الحموُ الموتُ!**»[(٢)]؛ أي: الموت. الشر والدمار لا يأتي إلا من قبل أقارب الزوج إذا دخلوا وخلوا بالزوجة في غياب زوجها، فإذا طلب الزوج من زوجته أن تصافح أخاه أو تجلس معه أو تخلو بأخيه، أو أن تسمح له بأن ينظر إليها فلا طاعة للزوج في ذلك؛ لأن هذا هو الحمو، والحمو الموت، وكم من الأسر تهدمت بسبب دخول الأخ على زوجة أخيه في غياب أخيه، بل ربما في غياب الزوج يدخل ابن العم، وابن الخال على زوجة قريبه، والناس لا يبالون بذلك فيقع الزنا، وتقع الفضيحة وتتهدم الأسرة، وتترمل المرأة، ويحصل القتل، بسبب هذا التقصير والإهمال، صحيح أن أخا الزوج محرَّم ولكن تحريمه مؤقت، فإذا مات الزوج جاز للأخ أن يتزوج زوجة أخيه، ولا يجوز للزوج أن يخلو بأخت زوجته كذلك لأنه إذا ماتت الزوجة جاز للزوج أن يتزوج أخت زوجته، فلا يجوز له أن يصافحها، ولا أن يخلو معها، ولا أن يسافر معها.

● قال بعض الصالحين: (لو ائتمنوني على ملء الأرض ذهباً لائتُمنت، ولو ائتمنوني على جارية سوداء دميمة ما ائتمنت).

---

(١) **صحيح**: ت: (١٣٥)، هـ: (٦٣٩)، حم: (٢/ ٤٧٦)، مي: (١١٣٦)، [«ص.غ.هـ» (٢٤٣٣)].

(٢) **صحيح**: خ: (٤٩٣٤)، م: (٢١٧٢).

ثانياً: ومن حق الزوج على زوجته أن تتزين له، وأن تتجمل له، وأن تكون دائماً في أحسن صورة، وأن لا تعبس في وجهه أبداً، قال ﷺ: «**خير النساء من تُسركَ إذا أبصرت، وتطيعك إذا أمرت، وتحفظ غيبتك في نفسها ومالك**»[١]. فكوني يا أمة الله من خير النساء، فالمرأة لا بد أن تكون دائماً في أحسن صورة في بيتها لزوجها، وهي تؤجر على ذلك وتدخل الجنة بذلك، وانظروا عباد الله إلى نساءنا في هذا الزمن العجيب في بيتها كالقرد وإذا خرجت إلى الشارع تزينت وتبرجت ولبست، ووضعت على وجهها ما لا يعلمه إلا الله، فهل تزوجتِ الشارع يا أمة الله؟ آلله أمركِ بهذا؟ آلرسول أمركِ بهذا؟ الجواب: لا، إذا أردتِ الأجر من الله تزيني لزوجك في بيتك. والمرأة الصالحة أيضاً إذا غبتَ عنها لم تخرج من بيتها إلى فلان وفلان، ولم تذهب إلى السوق، وتختلط بالرجال، وتمازح هذا وذاك لا، إذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك.

ثالثاً: من حق الزوج على زوجته إذا دعاها لحاجته وإلى فراشه أن تجيبه إلا مِنْ عذرٍ شرعي، والله لقد تبيّن لنا من خلال الأسئلة التي توجه إلينا من الرجال والنساء، أن المشاكل الزوجية كلها من هذا الباب، أن المرأة لا تعطي للزوج حقه عليها في الفراش، فيا أمة الله إذا دعاك الزوج إلى حاجته وإلى فراشه فعليك أَن تجيبي ولو كنت على التنور، يقول ﷺ: «**إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور**»[٢]. والتنور هو المكان الذي يصنع فيه الخبز، فإذا رفضت الزوجة وقصّرت في حق زوجها ونام الزوج غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح، وكان الذي في السماء غضبان عليها وساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجها. يقول ﷺ: «**والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى**

---

(١) **صحيح**: [«ص.ج» (٣٢٩٩)].

(٢) **صحيح**: ت: (١١٦٠)، حب: (٤١٦٥)، طب: (٨/ ٣٣١)، ش: (٣/ ٥٥٨)، هق: (٧/ ٢٩٢)، [«ص.ج» (٥٣٤)].

عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها»[(١)] - أي زوجها -، ويقول ﷺ: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأتِهِ فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح**»[(٢)]. فلتتقِ الله الزوجة في زوجها لأنها إذا رفضت ذلك الطلب لزوجها عرّضته إلى أن يخرج ويزني فيعصي الله ﷻ وهي آثمة وحرام عليها فعل ذلك.

رابعاً: حق الزوج على زوجته أن تحرص على رضاه دائماً وأن تعمل على أن تعيش معه لآخر لحظة، ولا تسأله الطلاق بدون سبب شرعي، يقول ﷺ: «**أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة**»[(٣)].

• المرأة التي تطلب من زوجها الطلاق لأنه لم يشتر لها مفسديون! ماذا تقول لربها يوم القيامة؟.

• المرأة التي تطلب من زوجها الطلاق لأنه رفض أن يبني لها بيتاً فارهاً! ماذا تقول لربها يوم القيامة؟

• المرأة التي تطلب من زوجها الطلاق لأنه يذهب إلى والديه ليتق الله فيهما! ماذا تقول لربها يوم القيامة؟

• المرأة التي تطلب من زوجها الطلاق لأنه أراد أن يتزوج عليها الثانية والثالثة! ماذا تقول لربها يوم القيامة؟.

وعلى الزوج إذا أراد أن يتزوج أن يتقي الله ويعدل، قال ﷺ: «**من استطاع منكم الباءة فليتزوج**»[(٤)]. والزواج شُرِع لغض البصر وليحصن الإنسان فرجه، فإذا غض الإنسان بصره وحصن فرجه من زوجة واحدة

---

(١) **صحيح**: م: (١٤٣٦).

(٢) **صحيح**: خ: (٣٠٦٥)، م: (١٤٣٦).

(٣) **صحيح**: د: (٢٢٢٦)، ت: (١١٨٧)، هـ: (٢٠٥٥)، حم: (٥/٢٨٣)، مي: (٢٢٧٠)، حب: (٤١٨٤)، ك: (٢/٢١٨)، [«ص.ج» (٢٧٠٦)].

(٤) **صحيح**: خ: (٤٧٧٨)، م: (١٤٠٠).

فكفى، وإن أراد أن يتزوج الثانية ليغض بصره وفرجه فله ذلك، لكن الزوجة إن شمت من بعيد أن زوجها يريد أن يتزوج عليها أول ما تطلب تطلب الطلاق! فهل هذا عذر شرعي؟! نقول للمرأة: «**أيما امرأة سألت زوجها الطلاق**..»[(١)] الحديث، فيا أمة الله لا يكون في ملك الله إلا ما قدَّره الله، فإذا قدَّر الله لهذا الزوج أن يتزوج عليكِ فوالله سيتزوج عليكِ، وإذا لم يقدّر الله له ذلك لو أنك بحثتِ له عن زوجة لم يتزوج، فاتركِي الأمور لله فإن هو عصى الله فيك فاتقِ الله فيه واحذري أن تطلبي الطلاق لأنه أراد أن يتزوج، واحذري أن تتركِي بيتك وأولادك لأن زوجك أراد أن يتزوج، وماذا تقولين لربك يوم القيامة يا أمة الله؟ وإن الرجل إذا تزوج الأولى والثانية والثالثة والرابعة، وعدل بينهن لا يُسْأل يوم القيامة عن الزواج إنما يسأل عن العدل، فإنْ عدل بينهنَّ، فلا شيءَ عليه،، وإنْ هو مال إلى إحداهن دون الأخرى جاء يوم القيامة وشقه مائل، أما أنت أيها الزوجة إذا طلبت الطلاق بسبب أن زوجك أراد أن يتزوج عليك فحرام عليك رائحة الجنة.

خامساً: من حق الزوج على زوجته: ألا تصوم نافلة وهو شاهد إلا بإذنه. فإذا أرادت أن تصوم فعليها أن تستأذن من زوجها، قال ﷺ: «**لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد** ـ أي: عندها ـ **إلا بإذنه**»[(٢)]؛ لأنه ربما أراد الزوج أن يجامع زوجته في النهار فيجدها صائمة فيمنعه ذلك منْ قضاء وطره منها، عبادَ الله، والزوج قد تزوج وأتى بزوجته من عند أبيها لحاجته، وكلنا يزوج بناته شرعاً على الكتاب والسنّة من أجل ذلك، والفتاة لا تنتقل من بيت أبيها إلى بيت زوجها لتأكل وتشرب فقط، إنما جاءت لحاجة الزوج الشرعية التي بسببها يكون الأولاد.

---

(١) **صحيح**: د: (٢٢٢٦)، ت: (١١٨٧)، هـ: (٢٠٥٥)، حم: (٥/ ٢٨٣)، [«ص.ج» (٢٧٠٦)].

(٢) **صحيح**: خ: (٤٨٩٩).

فلا يجوز للمرأة أن تقدم طاعة ربها في النوافل على طاعة زوجها، ونقول هنا لأهل الغرب والكفار: مَنْ الذي أعطى للمرأة حقها؟ إنه الإسلام أراد بذلك أن يحافظ على المرأة.

سادساً: من حق الزوج على زوجته، إذا أنفقت من أموالها في بيتها وعلى أولادها أن لا تمنَّ عليه بذلك؟ فالمَنُّ بالعطية حرام ومبطلٌ لها، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]. وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**» قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات، قال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال: «**المُسبل إزاره** ـ أي: الذي ثوبه وبنطاله زاد على الكعبين فهو يجر على الأرض ـ **والمنَّان** ـ أي: الذي لا يعطي شيئاً إلا منّة ـ **والمُنَفِّق سلعته بالحلف الكاذب**»(١). فعلى الزوجة ألَّا تمنّ على زوجها لأن ذلك سبب لكثير من المشاكل.

سابعاً: ومن حق الزوج على زوجته ألا تخرج من بيته إلا بإذنه، ولا تُدْخِلَ في بيته أحداً إلا بإذنه ولا تطلب منه ما لا يطيق، فكثير من النساء تطلب من زوجها أشياء غالية فيضطر هذا المسكين أن يمد يده إلى الرشوة، أو إلى البنوك ليقترض من الربا.

فعلى الزوج أن يتقي الله في زوجته، وعلى الزوجة أن تتقي الله في زوجها ليسعدا في الدنيا والآخرة.

اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه

❁ ❁ ❁

(١) **صحيح**: م: (١٠٦).

٧٦

الوصية الثانية عشرة: «ما تركت بعدي فتنةً»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ يقول الله ﷻ: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

عباد الله! وفي الجمع الماضية تكلمنا عن حق المرأة في الإسلام، وتبيّن لنا أن الإسلام وحده هو الذي أعطى للمرأة حقها، وكرمها ورفع من شأنها، وتبيّن لنا أن الإسلام أعطى للمرأة حقها طفلة عند أبيها، وزوجة عند زوجها، وأُمّاً عند أبنائها.

وأردنا بذلك أن نرد على دعاة الإباحية، وعلى كلاب الغرب الذين يدَّعون أن الإسلام هضم حق المرأة، وأنه منعها من الخروج من بيتها ومنعها من الاختلاط بالرجال الأجانب، ومنعها من التبرج وظنوا أن هذا تضييع لحق المرأة، وغفل المساكين أن ذلك حفظٌ وتكريم للمرأة.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الثانية عشرة من وصايا المصطفى ﷺ:

يقول ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أضرَّ على الرجال من النساء**»[(١)]. الإسلام هو الذي وصّى الرجال بالنساء، فقال ﷺ: «**استوصوا بالنساء**

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٨٠٨)، م: (٢٧٤١).

خيراً»[١]، وهو أيضاً الذي يحذر الرجال من فتنة النساء فيقول ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أضرَّ على الرجال من النساء**»، ويقول ﷺ: «**فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»[٢].

عباد الله المرأة فتنة عظيمة:

أولا: لأن الرجل بطبيعته يشتهي المرأة، فالله ﷻ عندما خلق الرجل جعل فيه ميلاً للمرأة، وعندما خلق المرأة جعل فيها ميلاً للرجل، هذا صنع الله، فالرجل يشتهي المرأة، والمرأة في مقدمة الشهوات التي يشتهيها الرجل.

قال ـ تعالى ـ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [آل عمران: ١٤]، فالمرأة فتنة للرجل لأنه يشتهيها.

ثانياً: لأن المرأة إذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان؛ (أي: زينها في أعين الرجال ولو كانت قبيحة). يقول ﷺ: «**المرأة عورة، فإذا خرجت** ـ أي: من بيتها ـ **استشرفها الشيطان وأقرب ما تكون من وجه ربها وهي في قعر بيتها**»[٣]، فالشيطان يزينها في أعين الرجال.

ثالثاً: لأنها إذا خرجت من بيتها وأقبلت على الرجل؛ أقبلت في صورة شيطان، وإذا أدبرت عن الرجل أدبرت في صورة شيطان، ولذلك الرجل يشتهي المرأة وهي قادمة إليه ويشتهيها إذا ولّت عنه، فإذا نظر الرجل إلى المرأة من الأمام اشتهاها، وإذا أدبرت عنه ونظر إليها من الخلف اشتهاها، (لِمَ)؟ كما أخبر ﷺ فقال: «**إن المرأة تقبل في صورة شيطانٍ، وتدبر في صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة أعجبته فليأت أهله فإن ذلك يردُ ما في نفسه**»[٤].

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٨٩٠)، م: (١٤٦٨).

(٢) **صحيح**: م: (٢٧٤٢).

(٣) **صحيح**: ت: (١١٧٣)، خز: (١٦٨٥)، حب: (٥٥٩٩)، بز: (٥/ ٤٢٧)، [«ص.غ.هـ» (٣٤٦)].

(٤) **صحيح**: حم: (٣/ ٣٣٠)، هب: (٤/ ٣٦٧)، [«ص.ج» (١٩٤٠)].

عباد الله! وحرصاً من الإسلام على الرجال مِنْ أن يقعوا في فتنة النساء، وحرصاً على النساء من الوقوع في شِبَاكِ الرجال، جاء الإسلام بما يلي فاسمعوا وعوا.

أولاً: أمر الرجال بغض البصر حتى لا يقعوا في فتنة النساء، فقال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور: ٣٠]، وأمر النساء كذلك أن يغضضنَ أبصارهن عن الرجال الأجانب فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١]. فالإسلام أمر الرجال بغض البصر عن النساء، وأمر النساء أن يغضضن أبصارهن عن الرجال أتدرون (لِمَ)؟ لأن المصائب كلها تقع بعد النظر ولا يستطيع الإنسان أبداً أن يحفظ فرجه إلا بعد أن يغض بصره، ولذلك كما سمعتم فحفظ الفرج لا يكون أبداً إلا بعد غض البصر، وإذا لم يغض الإنسان بصره وقع في المحظور وكما قالوا: نظرة، فابتسامة، فموعد، فلقاء، وإذا التقى الرجل بالمرأة في مكان فَمنْ سيكون ثالثهما؟ الشيطان، والشيطان يأمر بالفحشاء والمنكر وكما قال القائل:

كلُّ الحوادثِ مَبْدَاها منَ النظرِ ... ومُعْظَمُ النارِ منْ مُسْتَصْغر الشَّررِ
والمرءُ ما دامَ ذا عينٍ يقلِّبُهَا ... في أعْيُنِ العِيْن موقوفٌ على الخطرِ
كم نظرةٍ فعلت في قلب صاحبِهَا ... فعلَ السهامِ بلا قوسٍ ولا وترِ
يسرُ ناظرَهُ ما ضرَّ خاطرَهُ ... لا مرحباً بسرورٍ جاءَ بالخطرِ

كم من نظرة من الرجل إلى المرأة قضت على بيته فخرَّب بنظرته بيته؟، فرُب رجل نظر إلى المرأة وهي تعمل معه فافتتن بها، وصار عبداً لها بعد هذه النظرة، فجاء يطلق زوجته ليتزوج بزميلته التي نظر إليها، والزميلة المتزوجة تطلب الطلاق من زوجها لأنها افتتنت بزميلها، فكم من نظرة فعلت في قلب صاحبها، فخرَّب المسكين بيته، وخرَّب بيت الآخر بنظرة، وكم من إنسان نسي القرآن بنظرة إلى امرأة؟، وكم من إنسان حرم الأمن بنظرة إلى امرأة؟، وكم من إنسان أصبح عبداً لبشر بنظرة إلى امرأة؟

وهذا جرير بن عبد الله يقول: (سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجاءة فأمرني أن أصرف بصري)[١]، وقال ﷺ لعلي رضي الله عنه: «**يا علي، لا تتبع النظرة النظرة؛ فإن لك الأولى وليست لك الآخرة**»[٢].

فالإسلام جاء وأمر بغض البصر حتى لا يقع الرجل في فتنة النساء، فيا عبد الله، إقبلْ هذه الوصية من رسول الله، وإقبل الأمر من الله، واعمل على غض البصر لأن البلاء سيكون في المستقبل إذا بقيت تعطي لبصرك الحبل على الغارب فستقع في المحظور، وستندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

ثانياً: جاء الإسلام فمنع اختلاط الرجال بالنساء وأمر بعزل النساء عن الرجال.

يا أمة الإسلام! يا من يقيمون الأعراس والأفراح والاختلاط بين الرجال والنساء، وكل رجل يأخذ آمرأته وقد تزينت كأنها هي العروس، ليختلط الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، وينظر الرجال إلى النساء، وتنظر النساء إلى الرجال، أتدرون ماذا يحدث بعد هذا! ترجع المرأة وقد أبغضت زوجها، ويرجع الرجل وقد أبغض زوجته، ولا يطيق زوجته؛ لأنه قد رأى من هي أجمل منها، ورأت الزوجة من هو أجمل من زوجها فخربت البيوت بسبب هذه الفوضى والإباحية. ولذلك يقول ربنا ـ جل وعلا ـ ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. الخطاب لمن؟ لأصحاب رسول الله أتقى الناس بعد رسول الله، ومن المخاطب بشأنه؟ أمهات المؤمنين، ومع ذلك يأمر الله الصحابة: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، فما بالنا نحن يا أبناء القرن العشرين، أبناء المفسديون نختلط رجالاً ونساء في كل شيء،

---

(١) **صحيح**: م: (٢١٥٩).

(٢) **حسن**: د: (٢١٤٩)، ت: (٢٧٧٧)، حم: (٥/٣٥٣)، ك: (٢/٢١٢)، مي: (٢٧٠٩)، هب: (٤/٣٦٤)، [«ص.ج» (٧٩٥٣)].

في المناسبات، وغير المناسبات فتأتي البلايا وما سُتر أعظم، وما لا يعرفه الزوج أعظم.

إن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

يقول ﷺ: «**إياكم والدخول على النساء»!** فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو، قال: «**الحمو الموت!**»(١)، والحمو هو قريب الزوج.

عباد الله! إذا اقتربت المرأة من الرجل الأجنبي كان الشر، وإذا ابتعدت المرأة عن الرجل الأجنبي كان الخير ولو كان ذلك في داخل المسجد. يقول ﷺ: «**خير صفوف الرجال أوَّلها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرُّها أوَّلُها**»(٢)، انظر الشر إذا اقترب الرجل من المرأة، والخير إذا ابتعدت المرأة عن الرجل.

ثالثاً: جاء الإسلام ومنع المرأة أن ترقق صوتها حتى لا يفتتن بها الذي في قلبه مرض. فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

رابعاً: جاء الإسلام ومنع المرأة من التبرج، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وأمر المرأة بالحجاب الشرعي فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، والجلباب الشرعي هو الذي توفرت فيه الشروط التالية:

١ ـ أن يغطي جميع بدن المرأة.

٢ ـ أن لا يكون ثوب شهرة.

٣ ـ أن يكون واسعاً لا يصف.

٤ ـ أن يكون سميكاً لا يشف.

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٩٣٤)، م: (٢١٧٢).

(٢) **صحيح**: م: (٤٤٠).

٥ ـ أن لا يكون مطيباً ولا معطراً.

٦ ـ أن لا يكون في نفسه زينة.

٧ ـ أن لا يشبه لباس الرجال.

٨ ـ أن لا يشبه لباس الكافرات.

شروط ثمانية اشترطها الإسلام في جلباب المرأة.

خامساً: جاء الإسلام ونهى المرأة أن تلفت أنظار الرجال بحليها أو بعطرها، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وقال ﷺ: «**أيما امرأة استعطرت ثم خرجت، فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية، وكل عين زانية**»(١).

سادساً: جاء الإسلام وأمر المرأة أن تجلس في بيتها لخدمة زوجها وتربية أبنائها، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣] أمرٌ؛ لأن المرأة إذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان، كما قال ﷺ: «**المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان**»(٢)، ولا مانع للمرأة أن تخرج من بيتها عند الضرورة كما قص علينا ربنا جل وعلا في سورة القصص عندما توجه موسى ﷺ إلى ماء مدين فوجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان ـ قال موسى ﴿مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ﴾ ـ لا نختلط بالرجال وأمّا السبب الذي أخرجنا من بيتنا ـ ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣]، فيجوز للمرأة أن تخرج من بيتها عند الضرورة دون أن تختلط بالرجال، ودون أن تمازح الرجال، حتى لا تقع في الفتنة.

---

(١) **حسن**: خز: (١٦٨١)، حب: (٤٤٢٤)، هب: (٦/١٧١)، هق: (٣/٢٤٦)، [«ص.ج» (٢٧٠١)].

(٢) **صحيح**: ت: (١١٧٣)، بز: (٥/٤٢٨)، [«ص.ج» (٦٦٩٠)].

عباد الله! الإسلام هو الذي وصى الرجال بالنساء: «**واستوصوا بالنساء خيراً**»[١].

• والإسلام أيضاً هو الذي حذّر الرجال من فتنة النساء فقال ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أضرَّ على الرجال من النساء**»[٢]، وقال ﷺ: «**فاتقوا الدنيا واتقوا النساء**»[٣]، وهنا سؤال مهم.

ـ لماذا حذّر الإسلام الرجال من فتنة النساء؟

الجواب: حتى لا تقع فاحشة الزنا في المجتمعات الإسلامية؛ لأن الزنا كما جاء في الكتاب والسنّة فاحشة وساء سبيلاً، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢]، قاتل الله الزناة فقد لوَّثوا المجتمعات، الزنا يسوِّد الوجوه البيضاء، الزنا يطأطأ الرؤوس العالية، الزنا يخرس الألسنة البليغة. ولذلك قال ﷺ: «**فاتقوا الدنيا واتقوا النساء**»، الزنا من أكبر الذنوب بعد الشرك بالله وبعد قتل النفس، يقول ابن مسعود رضي الله عنه سألت النبي ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله نِداً وهو خلقك**»، قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي؟ قال: «**وأن تقتل ولدك تخاف أن يَطْعَمَ معك**»، قلت: ثم أي؟ قال: **أن تُزاني حَلِيلَةَ جَارِك**»[٤].

• الزنا سبب لخراب الديار، وسبب لنزول العذاب، يقول ﷺ: «**إذا ظهر الزنا والربا في قرية، فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**»[٥]. وعذاب الله: زلازل، براكين، غلاء، ضنك، كرب، همّ، أمراض، حزن، تسليط الكفار علينا، تسليط إخوة القردة والخنازير علينا، حرب من الله علينا لعلنا نرجع إلى الله.

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٨٩٠)، م: (١٤٦٨).
(٢) **صحيح**: خ: (٤٨٠٨)، م: (٢٧٤١).
(٣) **صحيح**: م: (٢٧٤٢).
(٤) **صحيح**: خ: (٤٢٠٧)، م: (٨٦).
(٥) **صحيح**: ك: (٢/٤٣)، طب: (١/١٧٨) [«ص. ج» (٦٧٩)].

• الزنا سبب لعذاب القبر؛ أي: سبب للعذاب في حياة البرزخ: «**رأى رسول الله ﷺ في منامه مثل التنور، أعلاه ضيق، وأسفله واسع يوقد تحته نار، فيه رجال ونساء عراة، فإذا أوقدت ارتفعوا، حتى يكادوا أن يخرجوا، فإذا أُخمدت رجعوا فيها، فقلت: ما هذا؟ قيل: هم الزناة**»[١].

عذاب في الدنيا، وعذاب في حياة البرزخ، وعذاب يوم القيامة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩].

فيا عباد الله: اتقوا فتنة النساء، فليتق الله كل منا في بصره، وليتق الله كل منا في عرضه، فإن المرأة إذا خرجت من بيتها متبرجة وقعت الفتنة! لا، بل هي فتنٌ بعضها فوق بعض، المرأة التي تبرجت وخرجت واختلطت بالرجال، ونظرت إلى هذا وذاك ليست فتنة واحدة إنما هي فتن بعضها فوق بعض، فإذا افتتن الرجال بهذه المرأة ووقعت فاحشة الزنا، أقول لزوجها ولأبيها ولأخيها: والله لقد شاركتم في هذه الفتنة، وفي هذه الجريمة، والله سائلكم يوم القيامة عن أعراضكم ونسائكم.

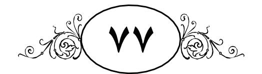
اللّهم قد بلّغت، اللّهم فاشهد

اللّهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً



---

(١) **صحيح**: خ: (١٣٢٠)، وانظر الحديث بتمامه.



الوصية الثالثة عشرة: «الخمر أمُّ الفواحش...»

عباد الله! قلنا سابقاً إن الإيمان بالرسل الكرام ركن من أركان العقيدة الصحيحة. ونحن لا زلنا في صدد الحديث عن رسولنا ﷺ وعن وصاياه، وقلنا: إن الواجب على المسلمين في كل زمان ومكان أن يقبلوا وصايا المصطفى ﷺ، وأن يعملوا بها وأن يعضوا عليها بالنواجذ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله ـ مع الوصية الثالثة عشرة:

• **عن ابن عباس** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الخمر أم الفواحش، وأكبر الكبائر، من شربها وقع على أمه، وخالته، وعمته**»[(١)]؛ أي من شرب الخمر زنا بأمه، وخالته، وعمته.

عباد الله! وصية عظيمة من رسول عظيم يحذر فيها أمته من الخمر، وقد انتشرت الخمر في هذا الزمان، وملأت بلايا الخمر البلاد، والذي دفعني للحديث عن الخمر أمور أربعة فاسمعوا وعوا.

الأمر الأول: أن هناك فريقاً من الناس لا خلاق لهم يقولون ويدَّعون أَن الخمر ليست حراماً، وأنه لم تأتِ آية في كتاب الله تقول: حُرِّمت عليكم الخمر، بل يقولون: إن الله ﷻ قال: ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠]، ﴿كَبُرَتۡ كَلِمَةً تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥]، ورداً على هؤلاء الشياطين، ودفعاً لهذه الشبهة التي تدار في المجالس نقول: حرّم الله الخمر، فالخمر حرام إلى يوم القيامة، وتحريمها جاء في القرآن والسنّة، ولقد أجمعت الأمة على تحريمها.

---

(١) **حسن**: قط: (٤/٢٤٧)، طب: (١١/١٦٤)، طس: (٣/٢٧٦)، [«ص.ج» (٣٣٤٥)].

• فالدليل من كتاب الله على تحريم الخمر: يقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة: ٩٠ ـ ٩٢].

عباد الله! إلى الذين يقولون بأنه لم تأتِ آية من كتاب الله تقول: حُرِّمت عليكم الخمر، نقول لهؤلاء: حرّم الله الخمر في هذه الآية من ثمانية أوجه:

الوجه الأول: أنها رجس، والرجس حرام كالخنزير وعبادة الأوثان.

الوجه الثاني: أنها من عمل الشيطان، وعمل الشيطان حرام.

الوجه الثالث: فاجتنبوه، والأمر للوجوب، والاجتناب أشد من التحريم.

الوجه الرابع: لعلكم تفلحون، علّق الله فلاح الدنيا والآخرة على ترك الخمر.

الوجه الخامس: أن الخمر سبب لوقوع العداوة والبغضاء، وهذا حرام.

الوجه السادس: أنها تصد عن ذكر الله، وهذا حرام.

الوجه السابع: أنها تصد عن الصلاة، وهذا حرام.

الوجه الثامن: ثم قال: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾؟ [المائدة: ٩٠] وهذا استفهام يدل على الردع والزجر من الله ﷻ.

ولذلك عندما نزلت هذه الآية قال الفاروق عمر: (انتهينا، انتهينا)(١)، وقال بعض الصحابة ـ وكان منهم من يشرب الخمر ـ عندما

---

(١) **صحيح**: د: (٣٦٧٠)، ت: (٣٠٤٩)، ن: (٥٥٤٠)، حم: (١/ ٥٣)، ك: (٢/ ٣٠٥)، [«الموسوعة الحديثية»].

سمعوا الآية: (انتهينا ربنا)[١]، وقالوا: (قم يا أنس، ـ وكان هو الذي يصب الخمر لهم ـ: فأهرقها، فأهرقتها)[٢]، هكذا تربوا في مدرسة محمد ﷺ، هكذا تربوا على عقيدة التوحيد، هكذا تربوا على السمع والطاعة كما وصفهم الله فقال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١]، فهذا الدليل من القرآن.

أما من السنّة: فقال ﷺ: «**كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام**»[٣]، وأجمعت الأمة في مشارق الأرض ومغاربها على تحريم الخمر، فمن استحلها وادعى أنها حلال، وزعم أنها ليست بحرام فهو كافر خارج عن ملة الإسلام يحل دمه، وماله، وعرضه، وإذا مات لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن في قبور المسلمين.

الأمر الثاني: الذي دفعني للحديث عن الخمر، أن هناك فريقاً من الناس ـ وللأسف الشديد ـ يصلّون، ولكنهم يشربون الخمر ويقولون الصلاة شيء، والخمر شيء آخر، نقول لهم: نعم، الصلاة فرضها الله عليكم فمن صلاها وأداها بشروطها وأركانها في أوقاتها أدخله الله الجنة، والذي فرض عليكم الصلاة هو الذي حرّم عليكم الخمر، فالخمر حرام، ثم نقول لهؤلاء الذين يصلون ويشربون الخمر: الخمر حرام فمن شربها:

أولاً: لم يقبل الله منه صلاة أربعين يوماً.

يقول ﷺ: «**الخمر أُم الخبائث، فمن شربها لم تُقبل صلاتُهُ أربعين يوماً، فإن مات وهي في بطنه مات ميتةً جاهلية**»[٤].

ثانياً: نقول لهم: من شرب الخمر أو اقترب منها فهو ملعون من الله؛ قال ﷺ: «**لعن الله الخمر، وشاربها، وساقيها، وبائعها، ومبتاعها،**

---

(١) **حسن لغيره**: حم: (٢/ ٣٥١)، [«الموسوعة الحديثية»].

(٢) **صحيح**: خ: (٥٢٦٠). (٣) **صحيح**: م: (٢٠٠٣).

(٤) **حسن**: قط: (٤/ ٢٤٧)، طس: (٤/ ٨١)، [«ص.ج» (٣٣٤٤)].

وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وآكِل ثمنها»(١)، زوجة لا تشرب الخمر ولكنها تقدم لزوجها الخمر فهي ملعونة، موظف لا يشرب الخمر ولكنه يقدم الخمر للزبائن فهو ملعون، موظف لا يشرب الخمر ولكنه يبيع الخمر فهو ملعون، من اقترب من الخمر ملعون من الله.

ثالثاً: نقول لهؤلاء الذين يشربون الخمر ويصلّون: من شرب الخمر انقطع عنه نور الإيمان ونزع من قلبه، يقول ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**»(٢).

ويقول ﷺ: «**من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه**»(٣). ويقول عثمان رضي الله عنه: (اجتنبوا الخمر؛ فإنها أم الخبائث... ... والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر إلا ليوشك أن يخرج أحدهما صاحبه)(٤).

رابعاً: نقول للذين يشربون الخمر ويصلون: الرسول ﷺ قال: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمنان بما أعطى**»(٥).

خامساً: نقول لهؤلاء: من شرب الخمر سقاه الله في النار من طينة الخبال، يقول ﷺ: «**إن على الله عز وجل عهداً لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال،** قالوا: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: **عرق أهل**

---

(١) **صحيح**: د: (٣٦٧٤)، حم: (٢/ ٩٧)، ك: (٢/ ٣٧)، طس: (٨/ ١٦)، ع: (٩/ ٤٣١)، هق: (٥/ ٣٢٧)، [«ص.ج» (٥٠٩١)].

(٢) **صحيح**: خ: (٥٢٥٦)، م: (٥٧).

(٣) **ضعيف**: ك: (١/ ٧٣)، [«ض.ج» (٥٦١٠)].

(٤) انظر تخريجه في الصفحة التالية.

(٥) **صحيح**: ن: (٢٥٦٢)، حم: (٢/ ١٣٤)، حب: (٧٣٤٠)، ك: (٤/ ١٦٣)، [«ص.ج» (٣٠٧١)].

النار، أو عصارة أهل النار»[١]، فهل هناك عاقل يشرب الخمر بعد ذلك ولا سيما إن كان يصلّي.

الأمر الثالث: الذي دفعني للحديث عن الخمر أن هناك فريقاً من الناس كالحيوانات، بل هم أضل، شرب الخمر فوقع على أمه، وخالته، وعمته، لا يفرق بين المحارم وغير المحارم، وأظنكم قد سمعتم قبل أسابيع عن الذي وقع على عمته، ونسمع ونُسأل عبر الهاتف عمن وقع على أمه، وعلى أخته، وعلى خالته، وعلى زوجة أخيه، ومنهم من وقع على زوجة أبيه، وإذا سألنا وجدنا أنه كان سكران. نعم يا عباد الله فإن شرب الخمر يفتح على شاربها باباً إلى كل شر، قال ﷺ: «**ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر**»[٢]، وقد أخبرنا ﷺ في الوصية التي معنا اليوم فقال: «**الخمر أم الفواحش...**»، وبالمثال يتضح البيان.

• يقول عثمان رضي الله عنه: (اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث، إنه كان رجل ممن خلا قبلكم تعبد فعلقته امرأة غوية، فأرسلت إليه جاريتها فقالت: إنا ندعوك للشهادة فانطلق مع جاريتها، فطفقت كلما دخل باباً أغلقته دونه حتى أفضى إلى امرأة وضيئة جالسة، عندها غلام وباطية خمر فقالت: إني والله ما دعوتك للشهادة ولكن دعوتك لتقع عليّ أو تشرب من هذه الخمرة كأساً أو تقتل هذا الغلام [فإن أبيت صحت بك وفضحتك قال: فلما رأى لا بد له من ذلك]، قال: فاسقيني من هذا الخمر كأساً فسقته قال: زيدوني فلم يرم حتى وقع عليها وقتل النفس فاجتنبوا الخمر فإنها والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر إلا ليوشك أن يخرج أحدهما صاحبه)[٣]. صدقت يا رسول الله، الخمر أم الفواحش، الخمر أم

---

(١) **صحيح**: م: (٢٠٠٢).
(٢) **صحيح**: هـ: (٤٠٣٤)، هب: (٥/ ١١)، [«ص.ج» (٧٣٣٩)].
(٣) **صحيح موقوف**: ن: (٥٦٦٦)، حب: (٥٣٤٨)، عب: (٩/ ٢٣٦)، هب: (٥/ ١٠)، هق: (٨/ ٢٨٧)، [«ص.ن» (٥٢٣٦)].

الخبائث، هي مفتاح لكل شر، وها نحن نسمع يا عباد الله عن الذين شربوا الخمر كيف سرقوا وزنوا ووقعوا على المحارم.

الأمر الرابع: الذي دفعني للحديث عن الخمر أن هناك فريقاً من الناس يشربون الخمر ويسمونها بغير اسمها، ورسولنا الكريم ﷺ أخبرنا عن هؤلاء فقال ﷺ: «**يشرب ناس من أمتي الخمر، يسمونها بغير اسمها**»(١)، وهذا نراه ونسمعه في هذا القرن العجيب، فلو سأل سائل: **ما هي الخمر الحرام؟** نقول له: يقول ﷺ: «**كل مسكر خمر، وكل خمرٍ حرام**»(٢) ـ أياً كان اسمه، وأياً كان شكله، كيفما كان صنعه.

• فلو قال هذا السائل: أشرب الخمر ولا أسكر، قلنا له يقول ﷺ: «**ما أسكر كثيره فقليله حرام**»(٣).

• فلو قال هذا القائل: أشرب الخمر لا لأتلذذ بها، ولكن من أجل التداوي والعلاج، قلنا له يقول ﷺ ـ «**إنها** ـ أي: الخمر ـ **داءٌ وليست بدواء**»(٤).

عباد الله! هذا نداء إلى كل إنسان آمن بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وعلم وأيقن أنه راجع إلى الله، وأنه موقوف بين يدي الله، نقول له: اتق الله في نفسك، لإنك إذا شربت الخمر وقعت على أمك، وخالتك، وعمتك، وزنيت بالمحارم، وفقدت العقل الذي ميَّزك الله به عن الحيوانات.

ونقول للمسؤولين في كل بلاد الدنيا، الخمر مفتاح كل شر.

---

(١) **صحيح**: ن: (٥٦٥٨)، [«ص.ج» (٨٠٩٢)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٠٠٣).

(٣) **صحيح**: د: (٣٦٨١)، ت: (١٨٦٥)، ن: (٥٦٠٧)، هـ: (٣٣٩٣)، حم: (٢/ ١٦٧)، ك: (٣/ ٤٦٦)، [«ص.ج» (٥٥٣٠)].

(٤) **صحيح**: حم: (٤/ ٣١٧)، قط: (٤/ ٢٦٥)، عب: (٩/ ٢٥١)، ش: (٥/ ٣٨)، [«الموسوعة الحديثية»].

ونقول للمسؤولين: سترجعون إلى الله وستقفون بين يدي الله، والله سائلكم يوم القيامة عما استرعاكم، «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»[(١)].

فوالله لو شرب إنسان الخمر فغاب عقله، وسرق، وزنا، وقتل فهو مجرم ولكن قد اشترك معه في الجريمة الذي باع له الخمر، والذي فتح الخمارة، واشترك معه في الجريمة الذي وقّع ووافق على فتح الخمارة، واللهِ، قد اشترك معه في الجريمة الذي صنع الخمر، وفتح مصنع الخمر، وحمل له الخمر، وجهز عبوات الخمر، وكل من اقترب من الخمر وساهم فيها اشترك في هذه الجريمة، والله سائله يوم القيامة عنها.

● يقول طبيب ألماني: أغلقوا لي نصف الخمارات أضمن لكم إغلاق نصف المستشفيات ونصف السجون. ونقول للمسؤولين: يقول لكم رسول الله ﷺ: «**من شرب الخمر فاجلدوه، فإن عاد الثانية فاجلدوه، فإن عاد الثالثة فاجلدوه، فإن عاد الرابعة فاقتلوه**»[(٢)]، وذلك لتطهير المجتمع، فالذي يشرب الخمر قد أزعج المجتمع وأزعج رجال الأمن. جرثومة لا خير فيه إذا فقد عقله خرَّب وفتح على نفسه أبواب كل شر: سرقة، زنا، قتل، وهذا الذي نسمعه في كل بلاد الدنيا السبب فيه هو الخمر.

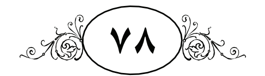
نسأل الله العظيم أن يطهر مجتمعات المسلمين من الخمر ومن الخمَّارات

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٩٠٤)، م: (١٨٢٩).

(٢) **صحيح**: د: (٤٤٨٥)، ت: (١٤٤٤)، حم: (٢/ ٢١٤)، ك: (٤/ ٤١٣)، لس: (٢٣٣٧)، طب: (٢/ ٣٣٥)، هق: (٨/ ٣١٤)، [«ص.ج» (٦٣٠٩)].



الوصية الرابعة عشرة: «استحيوا مِنَ الله حقَّ الحياء»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ، وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الرابعة عشرة:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**استحيوا من الله حق الحياء**»، قال: قلنا: يا رسول الله: إنا نستحيي والحمد لله، قال: «**ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**»(١). وصية عظيمة من رسول عظيم يأمر أمته فيها بالحياء من الله، ونحن والله في أمسِّ الحاجة في هذا الزمان للأخذ بهذه الوصية؛ لأن كثيراً من الناس لا يستحيون من الله ولا يستحيون من عباد الله.

عباد الله! الحياء: خُلق كريم يمنع صاحبه من فعل القبيح ومن التقصير في حق الله، وفي حق عباد الله، والحياء: خُلق الإسلام. يقول ﷺ: «**إن لكل دين خُلقاً، وإن خُلق الإسلام الحياء**»(٢)، ولقد جاء ﷺ ليتمم مكارم الأخلاق، فضرب لأمته مثلاً أعلى في الحياء، يقول أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: (كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه)(٣).

---

(١) **حسن**: ت: (٢٤٥٨)، حم: (١/ ٣٨٧)، ك: (٤/ ٣٥٩)، طب: (١٠/ ١٥٢)، طس: (١/ ٢٩٨)، هب: (٦/ ١٤١)، [«ص.ج» (٩٣٥)].

(٢) **حسن**: هـ: (٤١٨١)، طص: (١/ ٣١)، هب: (٦/ ١٣٦)، [«ص.ج» (٢١٤٩)].

(٣) **صحيح**: خ: (٥٧٥١)، م: (٢٣٢٠).

عباد الله! الحياء والإيمان قرناء، فإذا ذهب أحدهما ذهب الآخر، وإذا رفع الإيمان من الرجل رفع الحياء.

يقول ﷺ: «**الحياء والإيمان قُرِنا جميعاً، فإذا رُفع أحدهما رُفع الآخر**»(١)، فإذا ذهب الحياء ثم لحقه الإيمان فَعَلَ الإنسان ما بدا له، وتكلم بما بدا له، ولذلك إذا نظرت إلى شوارع المسلمين ورأيت الكاسيات العاريات فاعلم بأن الحياء قد ذهب من هؤلاء النساء، وذهب معه الإيمان وإذا لم تستح المرأة فعلت ما شاءت، وإذا لم يستح الرجل فعل ما شاء. والرسول ﷺ يقول: «**إن مما أدركَ الناسُ من كلام النبوةِ الأولى: إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت**»(٢).

عباد الله! ورسولنا الكريم يحث أمته على الحياء، ويحضها على الحياء، ويرغّب أمته في الحياء. فيقول ﷺ: «**الحياءُ لا يأتي إلا بخيرٍ**»(٣). ويقول ﷺ: «**الحياء خير كله**»(٤)، ويقول ﷺ: «**الحياء من الإيمانِ والإيمان في الجنة..**»(٥)، ويقول ﷺ: «**الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبةٌ من الإيمان**»(٦).

ويبيّن لنا الرسول ﷺ كيف يكون الحياء من الله، فقال ﷺ في الوصية التي معنا: «**من استحيى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى..**».

فتعالوا بنا يا عباد الله لننظر هل نحن في هذا الزمان نستحيي من الله حق الحياء؟ فإن كان الجواب لا فالعاقل من اتعظ، والعاقل من استعتب، وأدرك وتاب إلى الله قبل أن يندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

---

(١) **صحيح**: ك: (١/ ٧٣)، حل: (٤/ ٢٩٧)، [«ص.ج»(٣٢٠٠)].
(٢) **صحيح**: خ: (٥٧٦٩). (٣) **صحيح**: خ: (٥٧٦٦)، م: (٣٧).
(٤) **صحيح**: م: (٣٧).
(٥) **صحيح**: ت: (٢٠٠٩)، هـ: (٤١٨٤)، حم: (٢/ ٥٠١)، حب: (٦٠٨)، ك: (١/ ١١٨)، خد: (١٣١٤)، طب: (١٨/ ١٧٨)، [«ص.ج» (٣١٩٩)].
(٦) **صحيح**: خ: (٩).

أولاً ـ بالنسبة لحفظ الرأس وما وعى:

فحفظ الرأس عامة هو: أن يستحيي من الله حق الحياء، وأن يحفظ رأسه من أن تسجد لغير الله، وأن يحفظ رأسه من أن تركع لغير الله، فمن سجد لغير الله فقد أشرك، ومن أشرك دخل النار، يقول ﷺ: «**لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحدٍ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**»[(١)]. فلما لم يأمر النبي ﷺ المرأة أن تسجد لزوجها دلّ على أن السجود لغير الله حرام وشرك، الذين يركعون لغير الله! الذين يركعون للدينار وللمنصب ارتكبوا ما هو شرك وحرام، والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

• وعلى المسلم العاقل أن يحفظ رأسه من أن يتكبر على خلق الله، فمن تكبر وتعالىٰ برأسه على خلق الله حُرِمَ الجنة، يقول ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»[(٢)].

عباد الله! ومن حفظ الرأس وما وعى، أن يحفظ المسلم رأسه وما تحوي من الحواس كالفم، واللسان، والعين، والأذن، أما بالنسبة لحفظ الفم فعلى المسلم أن يستحيي من الله حق الحياء، وأن يحفظ فمه من الحرام، ومن أكل الحرام، ومن شرب الحرام ومن التغذي على الحرام.

فالذي يأكل الربا لا يستحيي من الله، والذي يأخذ الرشوة ويُطعمها نفسه وأولاده لا يستحيي من الله، والذي يدخن الدخان الخبيث المحرم لا يستحيي من الله، والذي يأكل من الغش والسرقة لا يستحيي من الله.

فمن الحياء أن تحفظ الفم من الحرام؛ لأنه إذا نبت هذا الجسد من الحرام فالنار أولى به، يقول ﷺ: «**كل جسد نبت من سُحت فالنار أولى**

---

(١) **حسن صحيح**: ت: (١١٥٩)، هـ: (١٨٥٢)، حم: (٦/٧٦)، ك: (٤/١٩٠)، مي: (١٤٦٤)، ش: (٣/٥٥٨)، هق: (٧/٢٩١)، [«ص.غ.هـ» (١٩٤٠)].
(٢) **صحيح**: م: (٩١).

به»[(١)]، والإنسان إذا أكل الحرام حُرِمَ إجابة الدعاء، والله ﷻ لن يستجيب له.

قال ﷺ: «**إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال ـ تعالى ـ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ [المؤمنون: ٥١] ـ الآية. **وقال تعالى ـ** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة: ١٧٢] ـ **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء، يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يُستجاب لذلك؟**»[(٢)].

● أما بالنسبة لحفظ اللسان، فعلى المسلم العاقل أن يحفظ لسانه من قول الفحش، ومن قول الزور، ومن الغيبة والنميمة، ومن الكذب، لقوله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»[(٣)]، ولقوله ﷺ لمعاذ: «**كفّ عليك هذا**» ـ وأشار إلى لسانه[(٤)] ـ فمن حفظ لسانه، ومن أمسكه عن الكذب وعن الغيبة وعن النميمة، وعن شهادة الزور، وعن الغناء، دخل الجنة، قال ﷺ: «**من يضمن لي ما بين لحييه، وما بين رجليه، أضمن له الجنة**»[(٥)]، حفظ اللسان فيه النجاة، قال عقبة رضي الله عنه: ما النجاة يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «**أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابكِ على خطيئتك**»[(٦)]، ومن أطلق لسانه يا عباد الله دخل النار، وندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

---

(١) **صحيح**: هب: (٥/٥٦)، حل: (١/٣١)، [«ص.ج» (٤٥١٩)].

(٢) **صحيح**: م: (١٠١٥).

(٣) **صحيح**: خ: (٦١١١٠)، م: (٤٨).

(٤) **صحيح**: ت: (٢٤٠٦)، حم: (٥/٢٥٩)، طب: (١٧/٢٧٠)، هب: (١/٤٩٢)، [«ص.غ.هـ» (٢٧٤١)].

(٥) **صحيح**: خ: (٦١٠٩).

(٦) **صحيح**: ت: (٢٤٠٦)، [«ص.غ.هـ» (٢٧٤١)].

• يقول معاذ رضي الله عنه: وإن لمؤاخذون بما نتكلم يا رسول الله؟ قال: «**ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكبُّ الناسَ في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم**»[(١)].

• أما بالنسبة لحفظ العين: فيجب على المسلم العاقل أن يحفظ عينه من أن تنظر إلى متاع الحياة الدنيا الذي متع الله به الكفار ليفتنهم فيه، فيجب على المسلم العاقل أن يحفظ بصره من النظر إلى متاع الدنيا الزائل. قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣١]. والزهرة سرعان ما تذبل، وسرعان ما تزول.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧]. وقال ﷺ: «**انظروا إلى من هو أسفل منكم ـ أي في الدنيا ـ ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم**»[(٢)]. وعلى العاقل أن يحفظ بصره من النظر إلى النساء، استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، واستجابة لقوله ﷺ: «**اصرف بصرك**»[(٣)]؛ لأن الشر كله في إطلاق النظر، وإن الذين يطلقون أبصارهم في الشوارع على النساء، يعيشون عيشة الجحيم، ويتألمون بالليل والنهار، فإن زنا فبسبب النظر، وإن أبغض زوجته فبسبب النظر، وإن أدرك الشر في بيته فبسبب النظر، كما تدين تدان ولذلك قال القائل:

كلُّ الحوادث مَبْداها من النظر ... ومعظمُ النارِ من مُستصغر الشررِ
والمرءُ ما دامَ ذا عينٍ يقلبُهَا ... في أعْينُ الغِيْدِ موقوفٌ على الخطرِ
كم نظرةٍ فعلتْ في قلبِ صاحبِهَا ... فعلَ السهام بلا قوسٍ ولا وترِ

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٦١٦)، هب: (٣٩٧٣)، حم: (٥/ ٢٣١)، ك: (٢/ ٤٤٧)، لس: (٥٦٠)، عب: (١١/ ١٩٤)، [«ص.ج» (٥١٣٦)].
(٢) **صحيح**: م: (٢٩٦٣).
(٣) **صحيح**: م: (٢١٥٩).

يـسـرُ نـاظـرَهُ مـا ضـرَّ خـاطـرَهُ   لا مـرحـبـاً بـسـرورٍ جـاءَ بـالـضـررِ

• أما بالنسبة لحفظ الأذن: فيجب على المسلم أن يستحيي من الله، فلا يستمع إلى النميمة ولا إلى الغناء والموسيقا ولا إلى الكذب، ولا إلى شهادة الزور، ومن جلس في مجلس غيبة أو نميمة يستمع فقط ولا يغتاب فهو مشترك معهم في الجريمة وهم في الإثم سواء، والله ﷻ قد وصف عباده الصالحين بأنهم: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٥٥﴾ [القصص: ٥٥].

عباد الله! النظر إلى الحرام زنا، والكلام في الحرام زنا، والاستماع إلى الحرام زنا، يقول ﷺ: «**كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا، مُدركٌ ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرِّجْل زناها الخُطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج ويكذّبه**»[١].

فاتقوا الله عباد الله، وليحفظ كل منا رأسه وما وعى.

• ومِنْ حِفْظِ الرأس وما وعى.

أن يحفظ الرجل لحيته من الحلق.

فحلق اللحية حرام؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**اعفوا اللحى**»[٢]، «**وفروا اللحى**»[٣]، «**أرخوا اللحى**»[٤] وهذه أوامر، والأمر للوجوب، فمن حلق لحيته فقد خالف أمر رسول الله ﷺ، والله ﷻ يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

• ومن حفظ الرأس وما وعى:

أن تحفظ المرأة وجهها من إزالة الشعر، فمن أزالت الشعر من

---

(١) **صحيح**: م: (٢٦٥٧).
(٢) **صحيح**: خ: (٥٥٥٤)، م: (٢٥٩). (٣) **صحيح**: خ: (٥٥٥٣).
(٤) **صحيح**: م: (٢٦٠).

وجهها فهي نامصة، وهي ملعونة لأن الرسول ﷺ لعن النامصة والمتنمصة.

ثانياً ـ وليحفظ البطن وما حوى: وحفظ البطن ـ يا عباد الله ـ أن يحفظ كلٌّ منا بطنه من أكل الحرام، وشرب الحرام، والتغذي على الحرام.

• ومن حفظ البطن وما حوى أن يحفظ فرجه من الحرام، وأن يحفظ رجليه من أن تمشي إلى الحرام، وعلى المرأة أن تستحيي من الله، وأن تحفظ ساقيها من أن تكشفهما في الشوارع، فالمرأة الكاسية العارية خرج منها الحياء وتبعه الإيمان، والرسول ﷺ يقول: «**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»(١).

ثالثاً ـ ولتذكر الموت والبلى:

فالعاقل الذي يستحيي من الله حق الحياء هو الذي يذكر الموت دائماً، وما أدراك ما الموت؟! ويذكر البلى دائماً، وما أدراك ما البلى؟!

• **فالذي يكثر من ذكر الموت ينتفع بما يلي:**

أولاً: يرضى بما قسم الله له؛ لأن الإكثار من ذكر الموت يقلل الكثير، ويكثر القليل، والعبد إذا علم أنه سيموت، وأنه راحل من هذه الدنيا رضي بما قسم الله له.

ثانياً: ذكر الموت يجعلك تستعد للقاء الله؛ لأنه من عَلِم أنه من هذه الدنيا راحل، فليعلم بأنه محتاج إلى زاد، والزاد الذي ينفعه هو التقوى.

تزود مِنْ معاشِكَ للمعادِ وقُمْ لله وأجمعْ خيرَ زادِ
ولا تجمعْ منَ الدنيا كثيراً فإنَّ المالَ يُجْمَعُ للنفادِ
أترضى أنْ تكونَ رفيقَ قومٍ لهمْ زادٌ وأنتَ بغيرِ زادِ؟!

ثالثاً: من أكثر من ذكر الموت والبلى ابتعد عن المعاصي.

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٧٦٩).

لأن من علم أَنه سيموت علم أَنه إلى الله راجع، ومن علم أَنه إلى الله راجع فليعلم أَنه موقوف، ومن علم أَنه موقوف فليعلم أنه مسؤول، ومن علم أَنه مسؤول استعد للإجابة من الآن، فأعرض عن المعاصي، وأقبل على الله بالتوبة النصوح، ولذلك قال ﷺ: «**أكثروا من ذكر هاذم اللذات: الموت**»(١). ولذلك انظروا إلى الذين لا يذكرون الموت، ولا يسمعون المواعظ، فتراهم دائماً وأبداً في المعاصي، وانظر إلى هذا الفقير الذي يحافظ على قراءة القرآن، وعلى دروس العلم، وعلى الصلاة في جماعة، ويعمل بما يسمع، ويزور المقابر ليتعظ، تراه دائماً زاهداً الدنيا مقبلاً على الله ﷻ، فمن أخذ بهذه الوصية: «**أكثروا من ذكر هاذم اللذات: الموت**»، انتفع نفعاً عظيماً.

نسيرُ إلى الآجالِ في كلِّ لحظةٍ ... وأيامُنَا تُطْوى وهُنَّ مراحلُ
ولَمْ أرَ مثلَ الموتِ حقاً كأنَّه ... إذا ما تخطتْهُ الأمانيُّ باطلُ
ترحلْ منَ الدنيا بزادٍ منَ التقى ... فعمركَ أيامٌ وهُنَّ قلائلُ

رابعاً ـ ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا:

وإن منَ الاستحياءِ منَ الله أن تُقبل على الآخرة، وأن تترك زينة الحياة الدنيا.

عباد الله! المسلم في هذه الدنيا غريب، وعليه في بلد الغربة أن يستعد ويتجهز حتى يسافر إلى وطنه الأصلي الذي كان فيه أبوه آدم إلى الجنة، ولذلك يقول ﷺ لابن عمر: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»(٢). فالمسلم في هذه الدنيا يرغب في الآخرة ويتجهز للآخرة، أما إذا ركن إلى الدنيا وتجهز للدنيا، وعمل للدنيا، وتعلم للدنيا، وسافر

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٣٠٧)، ت: (١٨٢٤)، هـ: (٤٢٥٨)، حم: (٢/ ٢٩٢)، حب: (٢٩٩٢)، ك: (٤/ ٣٥٧)، طس: (٦/ ٥٦)، [«ص.ج» (١٢١٠)].

(٢) **صحيح**: خ: (٦٠٥٣).

للدنيا، ونام واستيقظ على حب الدنيا، ورضي بالدنيا عن الآخرة، فهذا نادم لا محالة، والعاقل من اتعظ بغيره.

• فهذا قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم؛ لأنه رضي بالدنيا، وزينتها، ونسي الآخرة.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٩]... إلى أن قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣].

عباد الله! «استحيوا من الله حق الحياء...».

نسأل الله العظيم ربَّ العرش العظيم

أن يرد المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً

* * *



الوصية الخامسة عشرة:
«يا معشر المهاجرين، خصال خمس...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله ـ تعالى مع الوصية الخامسة عشرة.

• عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا معشر المهاجرين، خصال خمسُ إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تُدركوهن: لم تظهر الفاحشةُ في قومٍ قط حتى يُعلنوا بها؛ إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكنٍ مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجَور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنِعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلَّط الله عليهم عدوهم من غيرهم، فأخذوا بعض ما كان في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله عز وجل ويتحرَّوا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»**(١).

أمة الإسلام! وصية عظيمة من رسول عظيم ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤]، يحذر فيها ﷺ أمته من الذنوب والمعاصي، ويبيّن لهم أن المعاصي والذنوب سبب لكل شر، فيقول ﷺ لأمته ناصحاً أميناً: **«لم تظهر الفاحشة في قوم قط..»** الوصية.

---

(١) **صحيح**: هـ: (٤٠١٩)، طس: (٥/ ٦١)، ك: (٤/ ٥٨٢)، هب: (٧/ ٣٥١)، حل: (٨/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤)، [«ص.ج» (٧٩٧٨)].

١ ـ إذا ظهرت الفاحشة في قوم وأعلنوا بها ـ هذه هي المعصية ـ عاقبهم الله بأن فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا.

٢ ـ وإذا نقصوا المكيال والميزان ـ هذه هي المعصية ـ ابتلاهم الله بالسنين أي: بالجدب والقحط، وشدة المؤنة؛ أي: بالضنك وغلاء المعيشة وجور السلطان عليهم فيسومهم سوء العذاب.

٣ ـ إذا منعوا زكاة أموالهم حرمهم الله القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا.

٤ ـ وإذا نقضوا عهد الله وعهد رسوله سلّط الله عليهم الأعداء مِنْ كل مكان فأخذوا ما في أيديهم، ولم يرقبوا في مؤمن إلّاً ولا ذمة.

٥ ـ وإذا تحاكموا لغير ما أنزل الله جعل الله بأسهم بينهم، نعم يا عباد الله الجزاء من جنس العمل، ولا يظلم ربك أحداً. قال ـ تعالى ـ: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت: ٤٦].

أمة الإسلام! اصدقوني القول، هل ظهرت فينا الفاحشة؟ هل أعلنَّا بها؟ هل ظهر الزنا في بلاد المسلمين؟ هل ظهر العري والسفور في بلاد المسلمين؟ هل ظهر اللواط في بلاد المسلمين؟ هل ظهرت الفاحشة؟ الجواب: نعم.

● هل أعلنا بها؟ هل في بلاد المسلمين اليوم من يمشي من الرجال بين الناس في المناطق العامة ويدلل على العاهرات مقابل مبلغ من المال؟ هل يوجد هذا في بلاد المسلمين؟ هل هناك من العاهرات في بلاد المسلمين من تطوف على المحلات التجارية وتعرض نفسها للفاحشة مقابل مبلغ من المال؟ هل ظهر هذا في بلاد المسلمين؟ فهل حلّ بنا العقاب؟ وظهرت فينا الأمراض التي لم نسمع بها من قبل؟ كل منا يسأل والده هل سمع بمرض الإيدز الذي نسمع به اليوم، الجواب سيكون: لا، ولكننا لما

اقترفنا المعاصي، حلّت بنا الأمراض التي لم نسمع بها من قبل كما أخبر النبي ﷺ فقال: «**إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا**».

• هل نقصنا المكيال والميزان، هل من التجار من يغش ويتلاعب في المكيال والميزان؟ هل نغش في البيع والشراء؟ فابتلانا الله بالقحط والجدب والضنك، وغلاء المعيشة، وجور السلطان، هل ابتلينا بذلك؟ انظروا إلى بلاد المسلمين، الأمة الوحيدة التي يُقتل ويُسجن في كل مكان أبناؤها هي أمة الإسلام! أعرفتم السبب؟ إنهم حين نقصوا المكيال والميزان أُخذوا بالسنين، وشدة المؤنة، وجَور السلطان عليهم، فهل ظهر هذا في بلاد المسلمين؟ الجواب: نعم.

• هل منع الأغنياء ـ إلا من رحم ربي ـ زكاة المال؟ فحرمنا الله القطر من السماء؟

عباد الله! المطر يريد أن ينزل وترفعه معاصينا، والله الذي لا إله غيره لو أن عاقلاً ينظر بعينه إلى المطر يجده يريد أن ينزل ولكن حرمنا الله منه بسبب معاصينا وخطايانا ومنعنا للزكاة، فحلَّ بنا ما أخبر به النبي ﷺ: «**إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا**»، هل منع الأغنياء زكاة أموالهم؟ ويا ليتهم منعوا زكاة أموالهم فقط، بل وضعوا أموالهم في البنوك لتربوا، ولا تربوا عند الله، بارزوا الله بالمعاصي بأموالهم.

• هل نقضنا عهد الله وعهد رسوله؟ فسلّط الله علينا الأعداء من كل مكان فلا يرقبون فينا إِلّاً ولا ذمة؟ عباد الله! ها هم إخوة القردة والخنازير سلّطهم الله على خير أمة أخرجت للناس، والسبب: أننا نقضنا عهد الله، وعهد رسوله.

• هل تحاكمنا إلى القوانين الوضعية، وتركنا حكم الله؟ الجواب: نعم، في كل بلاد الدنيا إلا من رحم ربي.

• هل جعل الله بأسنا بيننا؟ نعم؛ فُرقة، تحاسد، كل حزب بما

لديهم فرحون ولا يظلم ربك أحداً، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [يونس: ٤٤]، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران: ١٦٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ [النساء: ٧٩] أي: بذنبك. يقول ﷺ: «**المصائب، والأمراض، والأحزان في الدنيا جزاء**»[1] أي: من الله ﷻ بسبب الذنوب، والله ﷻ يؤاخذ الناس ببعض ما كسبوا، قال ـ تعالى ـ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١]. الفساد ظهر في البر والبحر ليس بما كسبت أيدي الأسماك، ولا بما كسبت أيدي الطيور، ولا بما كسبت أيدي الدواب، إنما بما كسبت أيدي الناس. يا ابن آدم! ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [عبس: ١٧] السمك يموت في البحر بسبب معاصينا، الطيور تموت في الجو بسبب معاصينا، الفساد ظهر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون، ولو أذاق الله الناس بكل ما عملوا ما ترك على ظهر الأرض من دابة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾ [فاطر: ٤٥].

فالجزاء من جنس العمل، ولا يظلم ربك أحداً، أعمالٌ صالحة جزاؤها الخير عاجلاً وآجلاً.

والله ﷻ ربط سعادة الدنيا والآخرة بالأعمال الصالحة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ﴾ [النحل: ٩٧]، والأعمال السيئة جزاؤها الضنك

---

(١) **صحيح**: حل: (٨/ ١١٩)، [«ص.ج» (٦٧١٧)].

والعذاب عاجلاً وآجلاً. فالله ﷻ ربط بين الضنك في الحياة، وبين الأعمال السيئة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤]. وإذا عدنا يا عباد الله إلى الوصية العظيمة التي بين أيدينا يقول ﷺ: «**إذا ظهرت الفاحشة في قوم وأعلنوا بها..**» فبسبب وجود الفاحشة، والإعلان بها يكون العقاب: أمراض خطيرة فتاكة تعذب بني آدم. ولعل سائل يسأل **ما هي الفاحشة؟ نقول:**

• الزنا فاحشة كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢]، وكما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّـٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ [النساء: ١٥].

• العري والسفور فاحشة، كما قال تعالى عن كفار مكة عندما طافوا بالبيت عراة رجالاً ونساءً: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأعراف: ٢٨]، الله لا يأمر بالفحشاء، الله ينهى عن الفحشاء، أما الذي يأمر بالفحشاء فهو إبليس وجند إبليس.

• اللواط فاحشة، قال لوط لقومه: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠] وقد ظهر الزنا، واللواط، والتبرج، في بلاد المسلمين وفي بيوت بعض المصلّين، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا يظلم ربك أحداً، (ستلايت)، مفسديون، مجلات خليعة، انحلال في الأسرة، سقوط من الأب، سقوط من الأولاد!! ماذا تنتظر بعد ذلك؟ إنها الفاحشة، وإذا لم تتذكر وتستيقظ يا عبد الله الآن فستندم بعد فوات الأوان، ستندم إذا طأطأت الرأس، ستندم إذا وقعت الفاحشة، ستندم إذا حملت ابنتك، أو حملت أنت جرثومة الإيدز، فضيحة في الدنيا، وخزي يوم القيامة أمام الله.

ويقول ﷺ في وصيته: «**ولم ينقصوا المكيال والميزان..**»، إلَّا

عُوقبوا بالجدب، والقحط، والضنك، وشدة المؤنة وجَور السلطان عليهم.

عباد الله! **التلاعب في الكيل والميزان جريمة.** الله ﷻ قال: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ۝١٨١﴾ [الشعراء: ١٨١]، والله ﷻ قال: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝٨﴾ [الرحمن: ٧، ٨].

● وتوعد الله ﷻ الذين يتلاعبون في الكيل والميزان، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ١ ـ ٦].

أيها المتلاعب في الكيل والميزان، أيها الغشاش في البيع والشراء:

مَثِّلْ وقوفَكَ يومَ العرض عُرياناً ... مُستوحِشاً قَلِقَ الأحشاءِ حيرانا
والنارُ تلهبُ منْ غيظٍ ومَنْ حَنَقٍ ... على العصاةِ وربُ العرشِ غضبانا
إقرأْ كتابَكَ يا عبدي على مَهَلٍ ... فهلْ ترى فيهِ حرفاً غيرَ ما كانا
لما قرأت ولم تنكر قراءته ... إقرارَ مَنْ عرفَ الأشياءَ عِرْفانا
نادى الجليل: خذوهُ يا ملائكتي ... وامضوا بعبدٍ عصى للنارِ عطشانا
المجرمون غداً في النار يلتهبوا ... والمؤمنون في دار الخلد سكانا

عبادَ الله! ويقولُ ﷺ في وصيته: «**وإذا منعوا زكاة أموالهم**».

فمنع الزكاة جريمةٌ؛ لأن الزكاةَ ركنٌ منْ أركان الإسلام ولقد قرن الله الزكاة مع الصلاة في مواضع كثيرة من كتابه العزيز، والذين يصلّون ويمنعون الزكاة قد وقعوا في إثم عظيم، وحاربوا الله ﷻ، وتسببوا في نشر الفساد في البر والبحر، وحرمت البشرية المطر بسبب ظلمهم، فليتق الله الأغنياء الذين منعوا الزكاة فحرمنا الله المطر بسببهم.

● ويقول ﷺ في وصيته الجامعة: «**ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله..**».

عباد الله! العهد الذي بيننا وبين الله أن نعبده وحده ولا نشرك به شيئاً وألا نعبد الشيطان.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس: ٦٠، ٦٢].

● والعهد الذي بيننا وبين رسول الله أن نسلك منهجه، وأن نسلك سبيله، وأن نمشي خلفه إلى أن نصل إلى الجنة.

كما قال ﷺ: «**فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة**»(١).

● ويقول ﷺ في وصيته الجامعة: «**وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله..**».

أمـــة الإســـلام! ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠]، أرضيتم يا أمة الإسلام بالقوانين الوضعية، ونبذتم كتاب ربكم وراء ظهوركم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [البقرة: ١٧٩]، الأمان والأمن في ظل الإسلام وفي تطبيق الإسلام، وإذا تحاكمنا إلى القوانين الوضعية حرمنا الله الأمن والأمان وجعل بأسنا بيننا!

فيا أمة الإسلام! عودوا إلى ربكم، وتوبوا إلى الله من المعاصي، فالمعاصي والذنوب شؤم في الدنيا والآخرة، وسيندم الإنسان في وقت لا ينفع فيه الندم، إنها الذكرى والذكرى تنفع المؤمنين.

اللّهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، ولا تهلكنا بما فعل المبطلون

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: [«س.ص» (٢٧٣٥)] وقد تقدم تخريجه.



الوصية السادسة عشرة: أيُّ المؤمنين أَفضلُ؟

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية السادسة عشرة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنت مع رسول الله ﷺ فجاءه رجل من الأنصار فسَلَّمَ على النبي ﷺ ثم قال: يا رسول الله، أي المؤمنين أفضل؟ قال: «**أحسنهم خُلقاً**»، قال: فأيُ المؤمنين أكيس؟ قال: «**أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم لما بعده استعداداً، أولئك الأكياس**»[(١)]. وصية عظيمة من رسول عظيم يبيّن فيها لأمته من هو أفضل المؤمنين، ومن هو أعقل المؤمنين.

أمة الإسلام! جاء الإسلام ـ وهو الدين العظيم ـ إلى البشرية جمعاء يدعوها إلى مكارم الأخلاق، يدعوها إلى كل خُلق كريم، وإلى كل خُلق حميد، وإلى كل خُلق حسن. بُعِثَ ﷺ في الناس ليتمم مكارم الأخلاق، كما قال ﷺ: «**إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[(٢)]. وضرب ﷺ مثلاً أعلى في حسن الخُلق ويكفيه شهادة الله فيه، فالله عز وجل قال في كتابه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].

ولقد رَّغب ﷺ في حسن الخلق.

- فبيّن لأمته أن حسن الخلق يجعل صاحبه من أفضل المؤمنين كما

---

(١) **حسن**: هـ: (٤٢٥٩)، هب: (٦/ ٢٣٥)، [«ص.غ.هـ» (٣٣٣٥)].

(٢) **صحيح**: صحيح: (٢/ ٦٧٠)، هق: (١٠/ ١٩١)، [«س.ص» (٤٥)].

تبيّن لنا من هذه الوصية التي بين أيدينا، يا رسول الله، من أفضل المؤمنين؟ فقال ﷺ: «**أحسنهم خلقاً**».

- وبيَّن ﷺ لأمته أن حسن الخلق يجعلك من أكمل المؤمنين إيماناً، فقال ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً**»[(١)].
- وبيَّن ﷺ لأمته أن حسن الخلق يجعلك من خيرة الناس، فقال ﷺ: «**إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً**»[(٢)].
- وبيَّن ﷺ مرغباً أُمّته في حسن الخلق أنه يثقل الميزان يوم القيامة فقال ﷺ: «**ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق**»[(٣)].
- وبيَّن ﷺ أن حسن الخلق سبب من أسباب دخول الجنة حين سُئِل ﷺ عن أكثر ما يدخل الجنة، فقال ﷺ: «**تقوى الله وحسن الخلق**»[(٤)].

عباد الله! كيف يصل أحدنا إلى هذه الدرجة من الخلق الحسن؟.

أولاً: عليه أن يلتجئ إلى الله ﷻ، ويطلبَ منه بالليل والنهار أن يحسِّن خُلقه، تقول عائشة رضي الله عنها: كان ﷺ يكثر من قوله ودعائه: «**اللّهم كما أحسنت خَلْقي؛ فأحسن خُلُقي**»[(٥)].

ثانياً: علينا أن نتأسى برسول الله ﷺ، فقد ضرب لنا ﷺ مثلاً أعلى

---

(١) **صحيح**: د: (٤٦٨٢)، حم: (٢/ ٥٢٧)، مي: (٢٧٩٢)، حب: (٤٧٩)، ك: (١/ ٤٣)، ش: (٥/ ٢١٠)، هـب: (١/ ٦٠)، هـق: (١٠/ ١٩٢)، [«ص.ج» (١٢٣٠)].

(٢) **صحيح**: خ: (٥٦٨٨)، م: (٢٣٢١).

(٣) **صحيح**: د: (٤٧٩٩)، حم: (٦/ ٤٤٨)، ش: (٥/ ٢١١)، هب: (٦/ ٢٣٨)، حل: (٥/ ٢٤٣)، [«ص.غ.هـ» (٢٦٤١)].

(٤) **حسن**: ت: (٢٠٠٤)، حب: (٤٧٦)، خد: (٢٩٤)، لس: (٢٤٧٤)، هب: (٥/ ٥٥)، [«س.ص» (٩٧٧)].

(٥) **صحيح**: حم: (٦/ ٦٨)، حب: (٩٥٩)، لس: (٣٧٤)، ع: (٩/ ٩)، هب: (٦/ ٣٦٤)، [«ص.غ.هـ» (٢٦٥٧)].

في حسن الخلق، والله ﷻ أمرنا أن نتأسى به فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ثالثاً: علينا أن نتخلق بما جاء في القرآن؛ فرسولنا ﷺ تخلَّق بما أمره الله في القرآن، فقد سُئلت عائشة ﵂ عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت: «... **فإن خُلق نبي الله ﷺ كان القرآن...**»(١).

رابعاً: علينا بمصاحبة الصالحين وبمجالسة الأخيار، فالمرء على دين خليله كما قال ﷺ: «**الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»(٢)، وكما قال القائل:

عن المرء لا تَسَلْ ... وسَلْ عنْ قرينِهِ
فكُل قرينٍ ... بالمقارَنِ يقتدي

عباد الله! من أفضل المؤمنين؟ يقول ﷺ: «**أحسنهم خلقاً**»، ثم يسأل الصحابي الجليل: يا رسول الله من أكيس الناس؟ فيقول ﷺ: «**أكثرهم للموت ذكراً..**».

عباد الله! الرسول ﷺ يخبرنا أن العاقل هو الذي يكثر من ذكر الموت أتدرون لِمَ يا عباد الله؟ لأن الإنسان إذا أكثر من ذكر الموت قلَّ عنده الكثير، وكثر عنده القليل، وهانت عليه الدنيا، واستعد للموت وما بعد الموت، وهذا والله هو عين العقل؛ لأن العاقل هو الذي يعلم أنه عن هذه الدنيا راحل، وإلى الله راجع، وأمام الله موقوف، وعن كل صغيرة وكبيرة مسؤول، فيستعد للموت وما بعد الموت.

- والمجنون هو الذي نسي الموت وانشغل بالدنيا وبجمع المال من حله ومن غير حله حتى نزل به الموت فقال: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾، يقال له: ﴿كَلَّآ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] فالعاقل مَنْ أكثر

---

(١) **صحيح**: م: (٧٤٦).

(٢) **حسن**: د: (٤٨٣٣)، ت: (٢٣٧٨)، حم: (٢/ ٣٣٤)، ك: (٤/ ١٨٨)، لس: (٢٥٧٣)، هب: (٧/ ٥٥)، [«ص.ج» (٣٥٤٥)].

مِنْ ذكر الموت وجعل الموت دائماً بين عينيه، والله ﷻ في كتابه يذكرنا بالموت، فالله ﷻ يقول لرسوله ﷺ ولكل البشرية: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝﴾ [الزمر: ٣٠]، ويقول الله ﷻ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝﴾ [الرحمن: ٢٦]، ويقول الله ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ويقول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨]. ويقول الله ﷻ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [النساء: ٧٨].

وهذا جبريل عليه السلام يذكِّر محمداً ﷺ وأمته بالموت، يقول جبريل عليه السلام: «**يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به**»(١).

عباد الله! هل يستطيع كل منا الآن أن يضع نفسه مكان محمد ﷺ ويعتبر هذا الخطاب موجهٌ من جبريل عليه السلام له؟!.

- يا جامع الملايين، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب يا صاحب المال من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به.
- ويا ظالمُ، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به.
- ويا تارك الصلاة، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك مجزي به.

ورسولنا ﷺ يأمرنا بالإكثار من ذكر الموت فيقول ﷺ: «**أكثروا ذكر هاذم اللذات: الموت**»(٢).

ابن آدم! أكثر من ذكر الموت لأنه يهدم اللذات التي استعبدتك من دون الله، فالموت يأتيك بغتة ليخرجك من الدنيا وأنت لا تحب أن تخرج

---

(١) **حسن**: ك: (٤/ ٣٦٠)، طس: (٤/ ٣٠٦)، هب: (٧/ ٣٤٩)، حل: (٣/ ٢٥٣)، [«ص.ج» (٧٣)].

(٢) **صحيح**: ت: (٢٣٠٧)، ن: (١٨٢٤)، هـ: (٤٢٥٨)، حم: (٢/ ٢٩٢)، حب: (٢٩٩٢)، ك: (٤/ ٣٥٧)، [«ص.ج» (١٢١٠)].

منها، وكان ﷺ إذا انقضى ثلثا الليل قام من نومه ﷺ يقول: «**يا أيها الناس! اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة، تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه**»(١).

وكان السلف الصالح يكثرون من ذكر الموت.

• فهذا الفاروق عمر رضي الله عنه يكثر من ذكر الموت وكان كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات، يعظ نفسه ويذكِّرها بالموت فيقول:

لا شيءَ مما ترى تبقى بشاشتُهُ ... يبقى الإلهُ ويفنى المالُ والولدُ
لم تغن عنْ هرمزٍ يوماً خزائنُهُ ... والخلدَ قد حاولتْ عادٌ فما خلدوا
ولا سليمانَ إذ تجري الرياحُ لهُ ... والإنسُ والجنُ فيما بينها تردُ
أينَ الملوكُ التي كانتْ لعزتِهَا ... منْ كل أوبٍ إليها وافدٌ يفدُ
حوضٌ هنالك مورودٌ بلا كذبٍ ... لا بد منْ ورده يوماً كما وردوا

يا صاحبَ المنصبِ، يا صاحب المال، يا صاحب الجاه والسلطان، يا صاحب الوزارة، يا أيها المريض، يا أيها الفقير، يا أيها الغني، تجهزْ للموت قبل أن يفاجئك؛ فالموت يأتي بغتة.

تجهز للذي لا بُدَّ منه ... فإنَّ الموت ميقات العبادِ

• وهذا رجل ممن سبق إلى الله جلس يوماً يعاتب نفسه ويذكرها بالموت، وكان اسمه يزيد فيقول لنفسه: (ويحك يا يزيد، من ذا يصلّي عنك بعد الموت؟ ويحك يا يزيد من ذا يصوم عنك بعد الموت؟ ويحك يا يزيد من ذا يُرْضي عنك ربك بعد الموت؟ ثم يقول الرجل: يا أيها الناس، ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم، من الموت طالبه، والقبر بيته، والتراب فراشه، والدود أنيسه، وبعد ذلك ينتظر الفزع الأكبر، ثم يبكي الرجل حتى يقع مغشياً عليه).

---

(١) **حسن صحيح**: ت: (٢٤٥٧)، ك: (٢/ ٤٥٧)، هب: (٢/ ١٨٧)، [«ص.غ.هـ» (١٦٧٠)].

عباد الله! إن الإكثار من ذكر الموت دليل رجحان العقل.

ومن الأمور التي تعين على الإكثار من ذكر الموت:

١ ـ زيارة القبور: فيا جامع المال، ويا طالب المنصب، إذا أردت أن تتذكر الموت فاذهب إلى المقابر فإن في زيارتها تذكرة للآخرة.

يقول ﷺ: «**نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، فإن في زيارتها تذكرة**»(١). وفي رواية أخرى: «**ألا فزوروها فإنها ترق القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجرا**»(٢). فيا عبد الله! اذهب إلى المقابر، واجلس عندها وسلم على أهلها، وقل لنفسك: يا نفس، أصحاب القبور عاشوا في الدنيا، وبنوا القصور ووصلوا إلى المناصب، ومع ذلك جاءهم الموت، وانتقلوا إلى القبور، قل لها: يا نفس انظري إلى أموال الأموات قسمت على الورثة، قل لها: يا نفس، انظري إلى نساء الأموات تزوجت! قل لها: يا نفس انظري إلى أولاد الأموات تيتَّموا! قل لها يا نفس انظري إلى مناصب الأموات انتقلت إلى غيرهم، قل لها: يا نفس، أنت صائرة إلى ما صاروا إليه فتوبي إلى الله، وعودي إلى الله قبل فوات الأوان.

● (كان عثمان ـ رضي الله عنه ـ إذا وقف على قبرٍ يبكي حتى تبتل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار ولا تبكي وتبكي من هذا؟ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه**»، قال: وقال رسول الله ﷺ: «**ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه**»)(٣).

---

(١) **صحيح**: د: (٣٦٩٨)، طب: (٢/ ١٩)، عب: (٣/ ٥٦٩)، هق: (٩/ ٢٩٢)، [«ص.ج» (٦٧٨٨)].

(٢) **صحيح**: حم: (٣/ ٢٣٧)، ك: (١/ ٥٣٢)، هب: (٧/ ١٥)، هق: (٤/ ٧٧)، [«ص.ج» (٤٥٨٤)].

(٣) **حسن**: ت: (٢٣٠٨)، هـ: (٤٢٦٧)، حم: (١/ ٦٣)، ك: (١/ ٥٢٦)، هب: (١/ ٣٥٩)، هق: (٤/ ٥٦)، [«ص.هـ» (٣٤٤٢)].

عباد الله! ومن الأمور التي تذكر بالموت.

٢ ـ أن تحضر وتشاهد المحتضَرين وهم في سكرات الموت.

انظر إليه وهو يتألم، وانظر إليه وهو في شدة ما بعدها شدة، فالموت له سكرات كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق: ١٩]. ورسولنا الكريم ﷺ وهو في سكرات الموت كان «**يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ إن للموت سكرات**»[(١)].

● وفاطمة رضي الله عنها بجواره تقول: واكرب أباه، فيقول لها ﷺ: «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**»[(٢)]. الموت له سكرات قالوا: هي أشد من ضرب السيوف، وأشد من نشر المناشير، وأشد من قرض المقاريض، الألم يطغى على كل عضو في الإنسان حتى على لسانه فلا يستطيع الميت حتى أن يتأوَّه.

٣ ـ ومن الأمور التي تعين على ذكر الموت: الصلاة على الجنائز، فإذا صليت على جنازة فقل لنفسك: يا نفس، أنتِ الآن تصلين على الجنازة وغداً يصلّى عليكِ، وإذا حُملتْ الجنازة على الأعناق فقل لها، يا نفس أنتِ الآن تشاهدين الجنازة وغدا تُحملين على الأعناق، وإذا وضعت الجنازة في القبر وأهيل عليها التراب فقل لها: يا نفس، غداً تكونين في هذا المكان. فتوبي إلى الله.

أعرفتم يا عباد الله من العاقل؟ يقول ﷺ: «**أكثرهم للموت ذكراً**».

عباد الله! ويسأل السائل يا رسول الله: «**من أكيس المؤمنين فيقول** ﷺ: «**أكثرهم للموت ذكراً...**».

فالعاقل هو الذي يكثر من ذكر الموت، والعاقل هو الذي يستعد في الدنيا لما بعد الموت، والله عز وجل في كتابه يحذرنا من التفريط قبل الندم.

---

(١) **صحيح**: خ: (٦١٤٥). (٢) **صحيح**: خ: (٤١٩٣).

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحشر: ١٨]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾ [المنافقون: ٩ ـ ١١].

ورسولنا ﷺ يأمرنا بالاستعداد للموت والاستعداد لما بعد الموت قال ﷺ: «**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً، ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً، ويصبح كافراً، يبيع دينه بعَرَض من الدنيا**»(١).

● ابن آدم، تجهز بالزاد الذي ينفعك بعد الموت، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [البقرة: ١٩٧].

أنت في دار العمل، والعمر ينتهي فجأة، والعمر قليل، والعمر هو رأس المال فإن ذهب العمر في جمع المال فمن يصلّي عنك بعد الموت، ومن الذي يُرْضي عنك ربك بعد الموت.

ابن آدم!

نسيرُ إلى الآجالِ في كلِّ لحظةٍ ... وأيامُنَا تُطوى وهنَ مراحلُ
ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كأنهُ ... إذا ما تخطتْهُ الأمانيُّ باطلُ
ترحلْ منَ الدنيا بزادٍ منَ التقى ... فعمركَ أيامٌ وهنَّ قلائلُ

ابن آدم! تزود من حياتك فالموت يأتي بغتة، يأتي الوزير في وزارته، يأتي الرئيس في رئاسته، يأتي العريس في ليلة عرسه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٣٤﴾ [الأعراف: ٣٤].

---

(١) **صحيح**: م: (١١٨).

ابن آدم!

تزودْ منَ التقوى فإنكَ لا تدري إذا جنَّ ليلٌ هلْ تعيشُ إلى الفجرِ
فكمْ من صحيح ماتَ منْ غير علةٍ وكم من عليلٍ عاش حيناً منَ الدهرِ
وكم من صغار يُرْتَجى طولُ عمرِهم وقد أُدخلتْ أجسادُهُم ظلمةَ القبرِ
وكم من فتىً يمسي ويصبحُ ضاحكاً وقدْ نُسجتْ أكفانُهُ وهوَ لا يدري
وكمْ منْ عروسٍ زيَّنوها لزوجها وقدْ قبُضت أرواحُهُمْ ليلةَ القدرِ

أسأل الله العظيم أن يخرجنا من الدنيا على (لا إله إلا الله)
اللّهم توفنا وأنت راض عنا

❁ ❁ ❁

٨١

الوصية السابعة عشرة (أ)
«أيّ الأعمالِ أحبّ إلى الله؟»

عباد الله! قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨].

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله ـ مع الوصية السابعة عشرة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله؛ أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ: **«أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور يدخله على مسلم، أو يكشف عنه كربةً، أو يقضي عنه ديناً، أو يطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخٍ في حاجة أحبُ إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد (يعني: مسجد المدينة) شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظهُ ـ ولو شاء أن يمضيه أمضاه ـ ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام، [وإن سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل]»**[(١)].

---

(١) **حسن**: طب: (١٢/ ٤٥٣)، طس: (٦/ ١٣٩)، طص: (٢/ ١٠٦)، [«س. ص» (٩٠٦)].

وصية عظيمة نعيش معها ـ إن شاء الله تعالى ـ في يومنا هذا وفي الجمعة القادمة إن كان في العمر بقية؛ فالآجال لا يعلمها إلا الله.

عباد الله! الصحابة رضوان الله عليهم جيل فريد اختاره الله لصحبة نبيّه، كانوا يسألون عن الخير ليفعلوه.

فكما ذكرنا في الجمعة الماضية أن رجلاً جاء يسأل: يا رسول الله؛ أي المؤمنين أفضل؟ ليكون منهم، وفي وصية اليوم رجل آخر يسأل: يا رسول الله؛ أي الناس أحب إلى الله؟ ليكون منهم، يا رسول الله: أي الأعمال أحب إلى الله؟ ليقوم بفعلها ابتغاء مرضاة الله.

فيتبيّن لنا أن الصحابة كانوا يسألون عن الخير ليستعدوا به لما بعد الموت، وهذا دليل صريح صحيح على أن الصحابة من أعقل الناس لأنه قد تبيّن لنا في الجمعة الماضية أن العاقل هو الذي يستعد للموت، وما بعد الموت، أما المجنون فهو الذي يعمل للدنيا ليلاً ونهاراً، ولا يعرف ربه إلا إذا نزل بساحته الموت فيقول: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ ـ فيقال له: ﴿كَلَّآۚ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

عباد الله! السائل يسأل يا رسول الله! من أحب الناس إلى الله؟

قال ﷺ: «**أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس**».

كلما ازداد نفع العبد لإخوانه في الله كلما ازدادت محبة الله له، وكلما نقص نفع العبد لإخوانه في الله كلما نقصت محبة الله له.

والنفع في الوصية لا يقتصر على النفع المادي فقط، إنما يمتد إلى النفع بالعلم، وبالرأي، وبالنصيحة، وبالمال، وبالجاه، وبكل ما تملك، فمن أعطاه الله علماً نافعاً فنفع إخوانه بعلمه ابتغاء مرضاة الله أحبه الله، ومن أعطاه الله مالاً فنفع إخوانه في الله بماله ابتغاء مرضاة الله أحبه الله، ومن أعطاه الله جاهاً ومنصباً فنفع إخوانه في الله به ابتغاء مرضاة الله أحبه الله.

ابن آدم! وإذا أحبك الله لأنك تنفع الناس، حبَّب فيك جبريل وحبَّب فيك أهل السماء وجعل لك قَبولاً في الأرض.

يقول ﷺ: «**إن الله تعالى إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله تعالى يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضعُ له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغضهُ، قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض**»(١).

• وإذا أحب الله عبداً جعله عبداً ربانياً لا يسمع إلا ما يرضِي الله، ولا يتكلم إلا بما يرضي الله؛ أي إذا جعلك الله عبداً له، استخدمك في طاعته، ولئن سألته استجاب لك، ولئن استعذته أعاذك، ولئن استغفرته غفر لك، كما جاء في الحديث القدسي قال ﷺ قال تعالى: «... **وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذ بي لأعيذنَّه**..»(٢).

• وإذا أحبك الله لا يعذبك أبداً في النار. لأن الله لا يعذب حبيبه في النار، ولذلك قال ﷺ: «**والله لا يلقي الله حبيبه في النار**»(٣).

ولذلك لما قالت اليهود والنصارى: نحن أبناء الله وأحباؤه قال الله ـ عز وجل ـ لرسوله ﷺ قل لهم: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ﴾ [المائدة: ١٨]، فإنهم إن زعموا وكذَّبوا، قيل لهم فإن كنتم أحبابه فلم يعذبكم بذنوبكم؟ فالله لا يعذب حبيبه.

---

(١) **صحيح**: م: (٢٦٣٧).
(٢) **صحيح**: خ: (٦١٣٧).
(٣) **صحيح**: حم: (٣/ ٢٣٥)، ك: (٤/ ١٩٥)، ع: (٦/ ٣٩٧)، هب: (٥/ ٤٢٢)، [«س. ص» (٢٤٠٧)].

عباد الله! والسائل يسأل: أي الأعمال أحب إلى الله؟ فيقول ﷺ: «**سرور يدخله على مسلم**».

فإدخال السرور على قلوب المسلمين من أحب الأعمال إلى الله، وإدخال الحزن على قلوب المسلمين من أبغض الأعمال إلى الله، فهنيئاً لمن أدخل السرور على قلوب المسلمين، ويا ويل من أدخل الحزن على قلوب المسلمين.

والسرور يختلف من إنسان إلى آخر، ومن وقت إلى آخر، ومن حين إلى آخر، فهناك من الناس من إذا ابتسمت في وجهه أدخلت السرور على قلبه، وهناك من الناس من إذا زرته في بيته أدخلت السرور على قلبه، وهناك من الناس من إذا قدمت له هدية ابتغاء مرضاة الله أدخلت السرور على قلبه.

يا رسول الله ما هي أحب الأعمال إلى الله؟ فقال ﷺ: «**أن تكشف عن مؤمن كربة**»، والكربة: هي الشدة التي تنزل بالعبد في الدنيا فتورثه الغم والهم والكرب. والله ﷻ وعد على لسان نبيه ﷺ أن من رفع كربة من كرب الدنيا عن مسلم رفع الله عنه كربة من كرب يوم القيامة.

يقول ﷺ: «**من نفَّس عن مسلم كُربةً من كُرب الدنيا نفَّس الله عنه كُربة من كُرب يوم القيامة**»[١].

وَكُرَبُ الدنيا بالنسبة لكرب يوم القيامة لا شيء، فالكرب يوم القيامة شديدة، والأمر عظيم، والناس في أرض المحشر ينتقلون من شدة إلى شدة، ومن موقف إلى موقف.

قال ـ تعالى ـ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ [الانشقاق: ١٩]؛ أي تنتقلون من شدة إلى شدة.

يقول الله ـ ﷻ ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ

(١) **صحيح**: م: (٢٦٩٩).

شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج: ١، ٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان: ٣٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾﴾ [المزمل: ١٧، ١٨].

في هذا اليوم: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٧].

الكل يقول: نفسي نفسي، والأنبياء يقولون في أرض المحشر اللّهم سلِّم سلِّم، الناس في هذا الموقف أجسادهم عارية، وأقدامهم حافية، ورؤوسهم شاخصة، والزحام شديد، والحر شديد.

ابن آدم!

مثلْ لِنَفْسِكَ أيُّهَا المَغْرورُ ... يومَ القيامةِ والسماءُ تمورُ
إذا كورتْ شمسُ النهارِ وأدنيتْ ... حتى علىٰ راسِ العبادِ تسيرُ
وإذا النجومُ تساقطتْ وتناثرتْ ... وتبدلتْ بعدَ الضياءَ كُدورُ
وإذا البحارُ تفجرتْ منْ خوفها ... ورأيتَها مثلَ الجحيم تَفورُ

عباد الله! آن الآوان أن نستيقظ، فالكرب يوم القيامة عظيم، ومن أراد أن ينجو من كرب يوم القيامة فليتقِ الله في الفقراء والمساكين والمكروبين. وليرفع كربة بماله، أو بصحته، أو بعشيرته، أو بمنصبه، عن مؤمن في الدنيا ليرفع الله عنه كربة من كرب يوم القيامة.

أمـا والله لـو عَـلِـمَ الأنـامُ ... لِمَا خُلِقُوا لما هَجَعُوا وناموا
لقدْ خُلِقُوا لأمر لو رأتْهُ ... عيونُ قلوبهمْ تاهُوا وهامُوا

مَـمَـاتٌ ثـمَّ قـبـرٌ ثـمَّ حـشـرٌ وتــوبــيــخٌ وأهــوالٌ عِــظَــامُ
ليومِ الحشرِ قدْ عمِلَتْ رجالٌ فصلوا منْ مخافتِهِ وصامُوا
ونـحـنُ إذا أُمِـرْنَـا أو نُـهِـيْـنَـا كـأهـلِ الـكـهـفِ أيـقـاظٌ نِـيـامُ

عبادَ الله! نسمع المواعظ وكأننا لا نسمعُ، فكم منا يعلم أن الربا حرام ولا زال يأكل الربا؟ وكم منا يعلم أن التبرج حرام ولا يزال يسمح لزوجته وابنته بالتبرج؟.

وكم منا يعلم أن الغيبة حرام، ولا يزال يغتاب؟.

وكم منا يعلم أن النميمة حرام، ولا يزال ينم وينقل الكلام؟.

• السائل يسأل: يا رسول الله ما أحب الأعمال إلى الله؟ يقول ﷺ: «**أو يقضي عنهُ ديناً**»، قضاء الدين عن المدينين من أحب الأعمال إلى الله.

والمدين هو: الذي أثقلته الديون وعجز عن تسديدها، فتسديد الديْن عنه من أحب الأعمال إلى الله، والله ﷻ جعل للغارمين أي المدينين نصيباً من أموال الزكاة.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٦٠﴾ [التوبة: ٦٠].

فيا عبد الله، إذا منَّ الله عليك بمال وبارك لك فيه فتفقد إخوانك في الله الذين أثقلتهم الديون، وسدد عنهم هذا الديْن، فقد سمعت من رسول لله ﷺ أن من أحب الأعمال إلى الله ـ تعالى ـ أن تقضِي عن مسلمٍ ديناً.

• السائل يسأل يا رسول الله ما أحب الأعمال إلى الله؟ فيقول ﷺ: «**أو تطرد عنه جوعاً**»، طرد الجوع عن الجائعين من أسباب دخول الجنة، وما أدراك ما الجوع!؟ وهناك أُسَرٌ تنام بلا طعام، والأغنياء لا يدرون أين يُلقون فضلات الطعام!

• طرد الجوع عن الجائعين من أسباب دخول الجنة.

يقول الله ـ عز وجل ـ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان: ٨ ـ ١٢].

عباد الله! البخل وعدم طرد الجوع عن الجائعين من أسباب دخول النار دار البوار.

قال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [المدثر: ٣٨ ـ ٤٤].

ولقد حث الله عز وجل عباده على إطعام الجائعين.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [البلد: ١١ ـ ١٦].

والرسول ﷺ حث أمته على إطعام الجائعين فقال ﷺ: «**أطعموا الجائع، وعودوا المريض وفكوا العاني**»[(١)]، وقال ﷺ: «**أيها الناس! أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلوا الأرحام، وصلُّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام**»[(٢)].

- والله عز وجل توعَّد الذين لا يحضون على إطعام الطعام.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٠٥٨).

(٢) **صحيح**: هـ: (٣٢٥١)، حم: (٥/ ٤٥١)، مي: (١٤٦٠)، ك: (٣/ ١٤)، طس: (٥/ ٣١٣)، ش: (٧/ ٢٥٧)، هب: (٦/ ٤٢٤)، [«ص.غ.هـ» (٦١٦)].

فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة: ٢٥ ـ ٣٧].

- ولقد نفى الرسول ﷺ الإيمان عمن بات شبعان وجاره جائع.

فقال ﷺ: «**ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه**»(١).

عباد الله! إذا نظرنا إلى سؤال السائل في الجمعة الماضية وفي وصية اليوم حيث يقول: يا رسول الله؛ أي الناس أحب إلى الله؟ يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله؟ وجدنا أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يسألون ليعملوا وهذا هو الفارق بيننا وبينهم، فإنهم كانوا يسألون ليعلموا فإذا علموا عملوا، ونحن إذا سألنا وسمعنا المواعظ تركنا العمل وهذا هو الفارق المهم بيننا وبينهم.

فالقرآن بين أيدينا، والسنّة بين أيدينا، ولكنهم أخذوا بالكتاب والسنّة وما التفتوا يميناً ولا شمالاً، لا إلى حضارة الفُرس ولا إلى حضارة الروم، أخذوا من الكتاب والسنّة وعملوا ونحن بين أيدينا القرآن والسنّة، ولكننا التفتنا إلى حضارة الشرق والغرب، وتركنا العمل بالكتاب والسنّة فهذا حالنا، وذاك حالهم فتحوا الدنيا من مشرقها إلى مغربها ونحن قد ضيعنا الدنيا من مشرقها إلى مغربها، ولن تصلح هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فارجعوا إلى الكتاب والسنّة.

عباد الله! ويتبيَّن لنا من الإجابة أن الرسول ﷺ كان يربي أمته على أنهم كالجسد الواحد، وكالبنيان الواحد مهما تباعدت بينهم المسافات، قال ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»(٢)، وقال ﷺ:

---

(١) **صحيح**: خد: (١١٢)، طب: (١٢/ ١٥٤)، ع: (٥/ ٩٢)، هب: (٥/ ٣١)، هق: (١٠/ ٣)، [«س.ص» (١٤٩)].

(٢) **صحيح**: خ: (٥٦٦٥)، م: (٢٥٨٦).